رمان

فاروق وادي:
قالَ انْكَتِم..
فانْكَتَمْت!
النضال والخيانة في طروحات ليانة

الافتتاحية: تعا قيمني

ثقافية فنية فلسطينية ـ شهرية تحرير وإخراج فني: سليم البيك العدد الثالث/ نيسان ٢٠١٠

http://www.horria.org/romman.htm romman.saleem@gmail.com

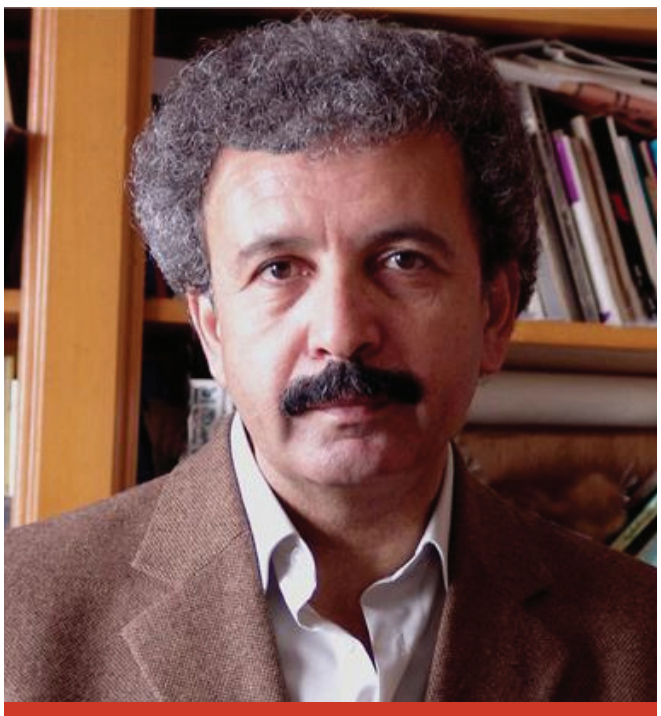

ابراهيم نصرالله: عن العار وشرفاته

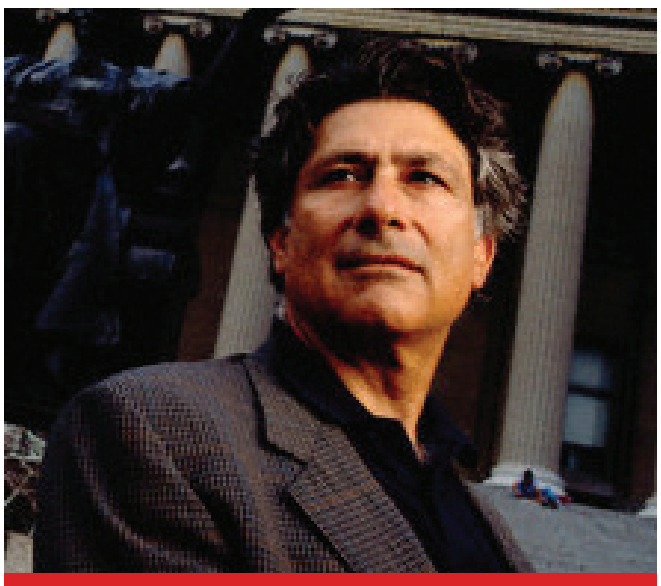

إدوارد سعيد وفكرة فلسطين
وفضاء أمريكا الشرس

18+

في أول حوار معها إثر صدور باكورتها حليب التين
سامية عيسى تتحدث لرمّان عن وطن من الحكايات

الافتتاحية

تعا قيمني

لا بدّ أن نخلص من سما رب سـبب تسمية الجريدة برمّان كي أنتقل بافتتاحياتها لمواضيع أكثر مصيرية في الثقافة والفن الفلسطيني.

الألـوان الطاغيـة – طاغية ع الصّبـح؟- في هذه الرمّان هي ألـوان التطريز الفلسـطيني، وتحديدا الثوب النسائي الفلسـطيني، وإن اختلفت الألوان من منطقة لأخرى. والألـوان الطاغية لمجمل هذه المناطـق هي الأحمر بدرجاته، وبنسـب أقل بكثير البرتقالي بدرجاته، إضافة إلى اللون الأسـود، وهو في رمّان لون النص. والألـوان ذاتها نجدها في حبة الرمان، شفتوا كيف؟

سـبب آخر هذه التسـمية أني قد صمّمتُ اللوغو (كلمة رمّان بالأحمر) وقد أحببته وعْلِقت.

سـبب آخر، وقد حاولـت الاحتفاظ به لنفسـي، ينفضح في الحوار التالي الذي جرى في احدى صالات معرض أبوظبي للكتاب بيـني وبين أحد الأصدقاء الصحافيين، ومن الحوار سـيتبيّن أنه فلسـطيني طبعا :

هو : جميل.. وليش اسم رمّان؟

أنا : في والله كذا سـبب، يعني الألـوان متلا ، وعلاقة الرمان بالأرض وهيك يعني

هو (وقد رفع يده كأنه يحمل قنبلة يدويّة، والتي سُمّيت أيام الثورة بالرمانة): ولإنه هاهاها الرمّاااانة هاهاهاا

أنا : مز هاها بو هوهاهاهاهو ط

هو وأنا معا وقد أصبحنا مزعجين وأثرنا بلبلة: هاها هع هاهاهااا يحرق حريشك

لا تستزنخونا . وقتها ، بشرفي، كانت مضحكة.

لا أدري إن اسـتوفيت في الافتتاحيات حتى الآن جميع الأسـباب لتبرير تلك التسـمية، لكني لابـد أن أنتقل لأمور أكثر جديّة، كفاها الله:

مأساتي أني أعتقد بالتغيير الدائم، وأن الثابت الوحيد في هذا الكون أن كل شيء متغيّر، وإجيت (قال) أعمل جريدة. يعـني أعتقد بأن الأعداد الـ ٨٤٩٦ القادمة ستشهد تغييرات أخت شليتة في كل عدد منها .

عمبضلني أبعبص بالدزاين تبع رمّان، وعرأي أبو الزوز الرحبانـي «ما أزال» أبعبص بالدزايـن. أي ما دُمت أنا بصحتي وعافيتي وسلامتي الذهنية (المفترضة) وما زُلـت، يعني ما انزلت، يعني بعدنـي طيّب ولم أُزل من الوجود ، إيش بدي أعمـل؟ بعد الغدا متلا . صاحب زياد «ما يزال» بيسـتهدف الأبنية، وأنا إيش أعمل؟ أتفرّج عليه؟ طبعا ما أزال أبعبص بالدزاين.

وبعرفلي شـوية فوتوشوب وشـوية إن دزاين، يعني وعرأي زياد كذلك: خود بقى تعا قيمني.

بَقولّي إني لازم أنهي الافتتاحية هون بس مش راح أرد علَي قبل ما أذكرلي شغلتين مهمتين:

- في حـال لم أغيّر رأيي قبل صـدور هذا العدد ، موضوع الغلاف لكل عدد بدأ من العدد السابق في أن يستقرّ على حوارات خاصة برمّان.

خلص، طلعت شغلة وحدة مش شغلتين. باي.

سامية عيسى تتحدث لرمّان عن وطن من الحكايات

أجرى الحوار: سليم البيك

لابـد أن يُسـلط الضـوءِ أكثـر على المنجـز النسـائي الفلسـطيني فـي كافـة مجالات الفن والأدب، وواضـح أنهن يسبقن الرجال في ذلك، وهذا أمر يدعو للتفاؤل كون تقـدّم المجتمعـات مرتبط جدليـا بتقدّم وضع المرأة في تلك المجتمعات.

التقيتها صدفة في معرض أبوظبي للكتاب عندمـا اتّصل بي أحـد الأصدقاءِ يخبرني بأن «أسـرع» إلى دار الآداب، حيث كانت سامية عيسى توقّع باكورتها «حليب التين»، وحيـن وصلـت عرفت ما سـبب هذه الـ «أسرع»: سـامية من بلدتي في فلسطين وقد زارتها قبل سنوات ولِديها من هناك قصص كانت «تحرز» أن أسرع لسماعها.

إليكم هـذا الحوار، وهو الأول مع سـامية الذي ينشر إثر صدور «حليب التين». فيه تعرفون عـن تلك القصص وعـن غيرها، عن الرواية، وبالتأكيد عن راويتها.

صـدرت مؤخـرا روايتك الأولـى "حليب التيـن"، والتي تتنـاول الحياة القاسـية في المخيمات الفلسـطينية، وأتت الرواية بعد تحقيقـات طويلـة ومثيرة للجـدل كنت كتبتها عن المخيمات الفلسطينية في لبنان حيـن كنت تعمليـن في الصحافـة هناك، وجرأتك في كليهما ملفتة، ما تأثير عملك الصحافـي على عملك الادبـي؟ ولا بد أن أسأل عن هذه الجرأة في كلا العملين.

الحقيقة هنالك تأثيـر لميولي الأدبية على عملي الصحافي بدايـة وليس العكس.فقد كتبـت التحقيـق الصحفي بنكهة سـردية دراميـة ولطالمـا بدأت تحقيقاتـي بداية أدبيـة قصصية وأنهيته بتسـاؤل نقدي أو أدبي . ولطالما كنـت أرى تفاصيل الحياة بمنظـار أدبـي وأمـارس عمليـة التفكير النقدي وأحاول بيني وبين نفسي أن أخط في ذهني التعابير الأقوى أدبيا للتعبير عن فكرة التحقيـق. من ناحيـة أخرى عملت على الناحيـة البحثية والمنهـج العلمي في تقديم موضوع التحقيق وإشكاليته وتقديم الوثائق والدلائل على ما أقوم به وأتقصاه بنـاءٍ على بينـة نصية مناسـبة للموضوع لا تتضـارب مـع فـن التحقيـق الصحفـي الذي أعتبره من أرقـى الفنون الصحافية وأكثرها شمولية. أما تأثير العمل الصحفي على عملي الأدبي ،إن تقصد "حليب التين" أو مـا أكتبـه الآن".." فإنه زودنـي بالدافع للكتابـة والإلحـاح ببـدءِ مشـروع حياتي: أي أن أكتـب . المعلومـات عـن الواقـع الإنسـاني سـواءٍ في تفاصيل حيـاة الناس فـي المخيمات أو فـي المجتمـع اللبناني التي كنت أجمعهـا للتحقيقات على اختلاف أنواعهـا كانت مهمـة ، واسـتخدمتها في التحقيق المنشور لا في الرواية. إنما هنالك على تخـوم هـذه التحقيقات وفـي أثناءِ إجرائـي إليها أظن تجمع لـدي مخزون هائـل وجداني من اللحظات التي عشـتها وأنـا أجري هذه التحقيقـات وأتفاعل مع إشـكاليات الحياة في المخيمات،وإن كنت لا أجهلها بالأسـاس ،بل أنا أعيش وسـطها كونـي فلسـطينية وتربيت فـي المخيم. هنالك تأثير ربما لتجربتي النضالية الطويلة والتي أفضت إلى إحساس عميق بالغضب بسبب الفسـاد السياسـي والأخلاقي الذي شـاب هذه التجربة لدي جميـع الفصائل الفلسـطينية تقريبا إلا من استثناءٍات قليلة وفردية. ليس ذلك فحسب،تولد لدي مع الوقـت وقبل اجتياح إسـرائيل للبنان عام ١٩٨٢ أن الهزيمـة وقعـت قبـل الاجتياح وكانت هزيمة داخلية لم تفعل إسـرائيل إلا أن وضعت لها ورقة النعوة.

أعلنـت قبل ذلك التاريخ لمن كنت أعمل معهم،رفاقـي فـي النضال"أنني أنسـحب مـن هـذه الطريـق لأنهـا لا تـؤدي إلى فلسطين،وبقيت بعد الاجتياح وسط إحباط هائـل أفكر فـي البديـل ولا أجده. عدت للدراسـة وتخصصت بالإعلام أساسـا كي أعبر وأمارس شـيءٍ من المقاومة عبره عبر تقصي وكشـف الإشكالات الصعبة التي نعانيهـا في المخيمات وأيضا الممارسـات العنصرية التي تعرض لها الفلسطينيون في لبنان إثر انسـحاب المنظمات الفلسطينية مـن لبنـان وأن أكون بجانـب أهلي في المخيمـات وقـد فادني كونـي متزوجة من لبنانـي وأحمل الهويـة اللبنانية بعض الشـيءِ،ومنخرطة في المجتمـع اللبناني وأعـرف كيف ينظر إلينـا وكيف يتحدث عنـا بعـض الغـلاة،لا سـيما أن المجتمـع اللبناني غارق حتى أذنيه في الطائفية ولم يكن مسـتهجنا أن يمارس عنصريته على الفلسـطينين ،وأدت هـذه العنصرية إلى ارتكاب جرائم ومجازر حتى إسـرائيل لم تجـرؤ على ارتكاب مثيـلا لها وكان هنالك صمت.

وسط هذا الجو المشحون والبائس عشت سـنوات طويلة أعاني منه عاطفيا ووطنيا وأشـعر بأنني يجب أن أفعل شـيئا. ومن هنا جاءِت فكرة التحقيقات الصحافية التي بدأت فيهـا بفتح الملف الفلسـطيني على مصراعيه وإخبار العالم بأسره عن معاناة سكان المخيمات في لبنان لكشف العنصرية التـي يواجهها الفلسـطينيون في مخيمات لبنان ليس من القوى الرسمية أو الحزبية بل النظام السوري نفسه الذي كان يدعم ويشجع بعض هذه الممارسات بل أكثرها وحشـية بل وحتى الأمم المتحدة وتخليها عن تقديم الخدمات الإنسانية التي وعدت بهـا بـل وحتى قـوى الفسـاد المنتشـرة فـي المخيمات،ونحـن لـن ننسـى حرب المخيمات ويوما ما سـيحاكم المجرمون الذين ارتكبوها كمـا الجرائم جميعها التي ارتكبت بحق الفلسـطينيين،هناك العديد من منظمات المجتمع الأهلي الفلسـطيني فـي المخيمـات بـدأت تنظم نفسـه إثر العديد من التحقيقات التي كتبتها وفتحت دعـاوى دولية لمحاكمة مجرمي مجزرة صبرا وشاتيلا أو للدفع باتجاه نيل الحقوق المدنية للفلسطينيين في لبنان..أو ..أو .

هـذه روايتـك الأولى، كيـف أتيت بفكرة الروايـة وأين وجـدت أبطالهـا وامكنتها؟ وقبل ذلـك موضوع الروايـة كيف أتيت به؟

حليـب التين هي أول رواية لـي نعم،لكنها لـن تكـون الأخيرة،بـل هـي جـزءِ مـن مشـروع روائي طويل ثيمتـه الكبرى هي المرأة الفلسطينية بكل إشكاليات وجودها الإنساني،بدءِا من جسدها وانتهاءٍ بحقيقة وجودها والعراقيل التي تكبل هذا الوجود. هـي رواية فلسـطينية بالطبـع لأن الثيمة الكبرى لنا نحن الفلسطينين فلسطين. لأنها الحب ولأنهـا الجرح الكبير.فكـرة الرواية أتت من وسـط واقع المرأة الفلسـطينية المهمش والمنسـي،وكأنها وجدت لتحمل قرارات الرجل وتبعات خياراته ومساندته من غير أن يكون لها حصة تساوي قدرها وحصتهـا من الألم في سـاحة القرار،وهي فـوق هـذا ورغـم كل التضحيـات التـي تتحملها ما تزال العقلية الذكورية تتحكم بها وتفرض سلطانها بأشد ما هو كائن عليها. وإن حدث وبرزت في مجالات عدة فهي بالعموم تعاني من الفقر الذي سببته النكبة وكان النتيجة الأولى لها على الفلسـطينيين

رجالا ونساءٍ ولكن وقعها كان أشد على المرأة فضلا عن ازدياد وطأة العقلية الذكورية للمجتمع الفلسطيني بعد النكبة في محاولة ربما لطمس العار الذي لحق بنا نتيجة خسارة أرضنا،وتواليا النكبات المتتالية التي لم يتسبب بها العدو وحده بل غياب الرؤية الواضحة والممارسة النضالية الدؤوبة التي تليق بشعب يحاول عنيدا أن يعود لأرضه.

ألم تفكري في احتمال منع الرواية في عدة دول عربية بسبب دخولك بروايتك "محميات اجتماعية" يحظر تناولها، ويضاعف هذا الحظر كونك امرأة، ويضاعفه أكثر كونك فلسطينية؟

أبطال روايتي شخصيات ركبتها من مخيلتي تمكنني من تنفيذ الثيمة التي أردت العمل عليها،لكن كان يحدث أحيانا أن تقودني الشخصية التي ألفتها إلى أقدار تفاجئني أنا التي تكتبها،أقدار أحيانا كانت غير عقلانية بالظاهر ولكنها الأكثر منطقية في مواجهة مواقف معينة،خاصة في الموقف الذي واجهته"صديقة" لحظة تحولها إلى "مومس". كانت غاضبة من الفخ الذي وقعت فيه وأيضا بالمرارة التي تلاحقها من بيروت إلى دبي،فتتخذ قرارا بالولوج إلى عالم الدعارة وتركب المرارة وتصبح مرة. حليب التين هي مفردة تحمل معان كثيرة في الرواية وتركت للقارئ حصته في التفاعل مع الرواية كي يحرك مخيلته هو أيضا ،فالقارئ بالنسبة لي ليس متلقي مفعول به أو فيه بل هو فاعل ويحق له أن يملأ الفجوات وأن يتربص بالإيحاءات التي لا تقولها الرواية علانية ويحاول أن يقوم بدوره من خلال القراءة.

لم أفكر بالمنع وإن أتوقعه ولكني لم أفعل شيء لأتجنبه. يوم كتبت الرواية كان لدي هاجس أن أمارس حريتي المطلقة واعتبرت الرواية هي الساحة الحقيقية لأقول كلمتي بعيدا عن أية سلطة أو سيطرتها ،وأعتبر الكتابة الروائية تحديدا مضمار للتحدي لكل من يعمل أو عمل على طمس الإنسان ووجوده وحوله إلى كائن منسي لا يسعه العيش ككائن حر مكتمل الوجود.أنا لا أخاف من أحد. الرواية كتبتها منذ سبع سنوات ولكني لم أنشر بسبب هذه القيود الاجتماعية التي نعرفها جميعا . كان لدي ظروف خاصة لا تسمح لي بوقفة التحدي بالنشر،لكني الآن أعتقد أن هذه الظروف تزول وبطريقها إلى الزوال ولا أعبأ إن تم منعها. إذا حدث ومنعت سأنشر الرواية على الإنترنت. كوني فلسطينية لا يشكل فرقا. أنا كتبت للنساء وللرجال أينما كانوا فالكثير من المعاناة الفلسطينية انتشرت في عالمنا العربي كالعراق والسودان ولبنان واليمن والصومال والقائمة طويلة.أما بالنسبة لثيمة المرأة فهي إشكالية تهم النساء في العالم أجمع وفي أكثر الدول "تطورا" و"تقدمية" فالوجود المنتهك للمرأة هومشترك إنساني عالمي وأنا متأكدة أن هنالك وقفات عديدة في الرواية ستجد فيها كل إمرأة نفسها ليس في الدول العربية فحسب بل في العالم بأسره.

ماذا تكتبين حاليا؟ وماذا عن كتاباتك غير الروائية؟

أكتب حاليا رواية ولكن لا أستطيع التحدث عنها الآن حفاظا على خصوصية الرواية ولكنها تقع في خانة الثيمة النسوية بامتياز وأطمح أن تكون مؤثرة في واقع الثقافة العالمي. لا أستطيع أن أقول أكثر. أنا الآن بدأت مشواري ولن يوقفني شيء. لقد صمتت طويلا وآن لي أن أحكي!!

سأسألك عن ذهابك إلى فلسطين عام ١٩٩٦، لابد أن تلك التجربة تركت تأثيرا كبيرا على كتاباتك الصحفية والأدبية لاحقا، ماذا تخبرينا عنها؟

زيارتي إلى فلسطين حدثت في العام ١٩٩٥ وكانت الاحتلال يحتفل بذكرى الاستقلال وهو يوازي ذكرى نكبتنا. كتبت عن هذه الزيارة من خلال تحقيق نشر في ملحق جريدة النهار الثقافي "وطن من الحكايات". سبب زوبعة عاطفية في المخيمات الفلسطينية في لبنان وتم نسخه مئات النسخ وتوزيعه على من لم تتسنى له قراءته ولا أزال حتى اليوم أقابل أناسا يخبرونني حين يعرفون من أنا أنهم قرأوه ونسخوا منه مائة أو خمسين نسخة وزعزها في المخيم. نشر التحقيق في وقت كان الفلسطينيون ما زالوا تحت وطأة رعب حرب المخيمات التي حدثت بين ١٩٨٦و١٩٨٨ وعانى الفلسطينيون منه وطأة حصار بالنار والجوع دام ثلاث سنوات. جاء التحقيق ليحكي عن امرأة فلسطينية ولدت في بيروت ولم تعرف بلدها إلا من خلال حكايات جدتها وأمها ونساء العائلة،وكتبت بفخر واعتزاز وبحب لبلدي وأهل بلدي. بكى الكثير يومها واتصل بي من يعرفني وأشعروني أنني أتيت لهم بنصر. لم أتوقع حقيقة رد الفعل هذا على تحقيقي. كان أول تحقيق لي ويعود الفضل بنشره للروائي الياس خوري. حين علم أنني ذاهبة إلى فلسطين وأخبرته نيتي بكتابة تحقيق عن الزيارة قال بلهجته الساخرة :لا تكتبي انفعالات .خذي ملاحظات ومشاهدات واقعية واكتبيها واتركي للناس أن تنفعل. وهكذا كان .

الحقيقة الزيارة كانت أبعد بكثير من مجرد كتابة تحقيق. الزيارة غيرتني. غيرت مفاهيمي ورؤيتي للأشياء خاصة بما يتعلق بعودتنا. أعتقد أنها النبع الذي يلهمني حياتي كي أليق بهذه الأرض وكي أليق بها يجب أن أكون حرة. حرة بكل معنى الكلمة كي أكون قوية ولهذا أمضيت عمري أقوي نفسي وأصقل مهاراتي وأعزز كل ما يلزم في كي أكون الشخص الذي يليق بهذه الأرض. لم أبك في حياتي كما بكيت في فلسطين

. لم أصدق أن لدينا أرضا بهذا الجمال ونحن ما نزال نتصرف بسذاجة في مسألة العودة إليها. إنها الجنة على الأرض وهذا ليس استعارة. لا يمكننا أن نعود إن لم نحل إشكالية المرأة بشكل جدي من خلال تغيير منظومة تفكيرنا. لن يكون هنالك معنى للرجولة من غير أن تكون المرأة حرة ليس في المجتمع الفلسطيني وحده بل بالعالم كله. إن أية حرية منقوصة للمرأة هي أيضا حرية منقوصة للرجل. بين الرجل والمرأة لا يوجد تضاد وجودي بل تحقق لوجود الإنساني لكليهما.

ماذا تقرأين عادة، ولمن تقرأي، ومتى وكيف تكتبين؟

أقرا في جميع الحقول.في الفلسفات المختلفة وفي السياسة والفكر والنقد الأدبي وعلم النفس وفي الأدب والشعروالرواية والفن ،وفي السينما والإعلام.أقرأ في كل شيء تقريبا . ليس لدي كتاب معينين وإن كنت أحب أن أقرأ للبعض أكثر من غيرهم حين تعجبني كتاباتهم والطريقة التي يكتبون بها. أقرأ أيضا في الأمور العلمية. أنا شخص نهم بما يتعلق بالقراءة لكني لا أحفظ العناوين والأسماء التي أقرأها. أحب أن أحفظ لكني لا أحفظ إلا القليل. ما يهمني قدرة أي كتاب على إمتاعي وإثارة دهشتي المعرفية والإنسانية. ثم يدخل في مسام روحي ودماغي وأعتقد أنه يخرج بطريقة ما حين يستدعيه أي تفكير أو موقف حواري،أو فترات التأمل،فأنا أتأمل كثيرا. لكن أهم كتاب أحببته هو كتاب الحياة ومنه أستمد معظم معرفتي ،وإن كنت ما أزال أحمل الكثير من الأسئلة التي لم أجد أجوبة لها أو غير متأكدة من الأجوبة التي توصلت إليها. لكن أعتقد أنني تأثرت بالثقافة الإسلامية وإن كنت غير ملتزمة لكني قرأت الكثير في الإسلام وعن الإسلام مذ كنت صغيرة. أحب السيرة النبوية وسيرة السيد المسيح.أقرأ القرآن دائما وأيضا أقرأ في الإنجيل وقرأت مقاطع كبيرة من التلمود وحاليا أقرأ كثيرا عن تأسيس الحركة الصهيونية وبروتوكولات حكماء صهيون. يعجبني إبن رشد وابن خلدون والمتنبي.أما الكتاب الحديثين فإدوارد سعيد أثر بي كثيرا .أثرت في جرأته الفكرية وولوجه مجالات لم يفكر فيها الكثيرون. أحب أدونيس كله تقريبا فكرا وشعرا. أحب قراءة روايات الياس خوري لديه حس مرهف جدا ويكتب أحيانا مثل النساء. الروائيات العربيات لا أقرأ لهن لأنني أريد أن أكتب كتابة أصيلة هذا لا يعني أنني لا أرغب بقراءة رواياتهن بل لأنني أكتب ربما لا أريد أن أتأثر الآن بأحد. أقرأ كثيرا الروايات الأجنبية وخاصة لكانديرا إنه روائي متميز جدا وجريء في اعتماد أسلوب جديد هوأيضا ناقد أدبي متميز. لكن المفضل لدي هو فرانز كافكا . طبعا هنالك أصالة خالدة في روايات فرانز كافكا وأظن أنه لامس المطلق في استكشاف الوجود الإنساني وتفحص هذا الوجود وهو عبقرية لا أدري إن كانت ستتكرر. لدي قافلة من الأسماء في الشعر محمود درويش وطأ أماكن لم تطأها أرض الشعر من قبل .ونزار قباني بفنيته ورهافته الشعرية. هنالك سعد الله ونوس في المسرح وطبعا شيكسبير. رواية العطر لزوسكين ومائة عام من العزلة لغارسيا ماركيز إنهما عملان هائلان في تاريخ الرواية والأدب عموما. أنا أقرأ كثيرا ولا أستطيع تذكر الكثير الآن.يكفي فأنا أخجل من النسيان . جوابا على متى أكتب فهوو غالبا في الليل وفي عطلة نهاية الأسبوع،وأحيانا أستيقظ في منتصف الليل وأكتب.لكني أكتب بسرعة. أنا عموما سريعة بالإنجاز سواء طبخت أو كتبت أوتسوقت. أحب السرعة لأستغل الوقت وتمرست بالسرعة وصارت سمة في ويساعدني قدرتي الهائلة على التركيز.

ما الموسيقى التي تحبين سماعها؟

أحب من الموسيقى زياد الرحباني(إنه عبقرية موسيقية ونقدية) وأحب فيروز والرحابنة وسيد درويش.أيضا الشيخ إمام كله. لا أعرف أحب التجارب الموسيقية الجديدة تلك الصوفية أو التي يطلق عليها موسيقى الشعوب .الأغاني الفرنسية لا سيما القديمة كأزنافور وميراي ماتيو مع أنني لا أفهم الفرنسية إلا قليلا. وبحسب أحيانا أحب أشياء شعبية وأرنمها في السيارة.

وبعيدا عن الكتابة، أو ليس بعيدا جدا، سأسألك عن الطعام الذي لن تمانعي أكله في سبع وجبات غداء لأسبوع

المجدرة مع سلطة الزعتر البري والزيتون. أنا أعشق الزيتون ولو ترك الأمر لي قد أعيش على الخبز والزيتون طوال حياتي.

وأخيرا، كيف تصفين علاقتك بفلسطين؟ وبلدتك بترشيحا؟

هذا السؤال يبكيني ليس لأنه مؤلم بل لأنه يعيدني إلى حقيقتي الضائعة. لا أحد سيعرف من نحن من غير أن نسترجعها ونعود إليها.يجب أن نعتمد على أنفسنا وكفانا ننتظر من أحد شيئا. تعلمت في الحياة أن أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم وعلينا أن نهجم.كفانا تلقي الضربات والسعي وراء خطط الآخرين .لا أقصد الهجوم أي الحرب بل أن نضع رؤية واضحة واستراتيجية ومعايير للتنفيذ. ترشيحا أحبها وهي تعنيني كبلدة كنت أتمنى أن تعود أمي إليها قبل أن تموت .وفاتها قبل أن تعود إليها سبب لي جرحا كبيرا. ترشيحا تعنيني لأنها بلدي فلسطين. هكذا أراها. مشيت حافية فيها وقصصت شعري ونثرته في ربوعها وأظن أنني سأعود إليها. عدونا ضعيف ولن يستمر طويلا على أرضنا. لدي قناعة راسخة في ذلك وإيمان لا يتزعزع بأن للحياة منطقها والمنطق يقول وبحسب مشاهداتي :لن يدوم وجودهم على أرضنا!!إنها مسألة وقت ،أظننا قريبا سنشهد هذا اليوم .فقط يجب أن نكف عن اعتمادنا على غير قوتنا وبراعتنا وذكائنا ولدينا الكثير لنستخدمه في هذا السبيل وألا ننتظر أحدا أن يساعدنا. إسرائيل لا تعرف الحرب وفن الحرب. إنهم مجرد قتلة ومجموعة لصوص لا أكثرفحربهم على غزة ولبنان كشفت للعالم حقيقتهم ونحمد الله على وجود الفضائيات والأقمار الصناعية.في عام ١٩٤٨ لم يكن هنالك لا تلفزيونات وأقمار وإعلام متطور. سرقوا فلسطين وذبحوا أهالينا في غفلة عن العالم .هذه هي حقيقتهم يجب أن لا ننسى ذلك ونتصرف على هذا الأساس وننقذ العالم من هذا الفطر السام الذي ينمو على أرضنا ويشوه الحضارة الإنسانية برمتها.يجب أن ندرك ذلك ونبدأ بالتأسيس لاستراتيجية جديدة تستفيد من التجارب الماضية وتؤسس لنخبة جديدة غير النخبة الحالية العاجزة عن أن تليق بفلسطين سواء في غزة أو رام الله. أحس أن ثمة شيء عظيم قادم لنا ،وأن من هذا اليأس سينبت شيئ جليل وكبير وعبقري،كما الماس يستخرج من سواد الفحم. المهم ألا نفقد الأمل.

عن العار وشرفاته

إبراهيم نصر الله

ثمة مواضيع في الكتابة العربية، يتم التعامل معها، كواحدة من المحرمات التي تضاف للجنس والسياسة والدين، ومن هذه المواضيع، موضوع ما يسمى (جرائم الشرف)، إذ يجد الكاتب نفسه في مواجهة قوى مجتمع متخلفة، قامعة، تضيف لمحرمات الرقابة الرسمية، محرّما رابعًا.

.. ولا أنكر هنا أن الكتابة وقفت خائفة ومترددة في موضوع (جرائم الشرف) باستثناءات قليلة ومتباعدة، لكن عدد ما كتب حتى الآن ربما لا يتجاوز عدد أصابع اليد.

وعلى الرغم من شجاعة الكتابة الأدبية العربية الحديثة ونصاعة مواقفها من قضايا الإنسان العربي وهمومه، إلا أنها بقيت صامتة أمام هذا المدِّ الجنوني من الجرائم وهو يجتاح أرواح النساءِ والفتيات لأوهى الأسباب ولأتفه الأسباب، ولأغراض ليس لها علاقة بالشرف في حالات كثيرة.

صمت الكتابة هنا، يمكن أن نحلله من مختلف جوانبه، نستطيع أن نفهمه، لكننا لا نستطيع أن نتفهّمه؛ وأنا أتحدث هنا عن نفسي قبل أن أتحدّث عن غيري، إذ تبيّن لي أن الكتابة في هذا الموضوع تحتاج إلى جرأة من نوع خاص، غير تلك التي نواجهها، ونحن نكتب في أي موضوع، خارقين بهذا القدر أو ذاك المحرمات الثلاث، لا بجوهرها، بل بتشوهاتها التي تخضع للتزمت والتعصب واحتكار الحقيقة وتطويعها وفق مصالح المستفيدين من هذا التشويه.

إن جزءاً أساسيّاً من عدم تناول هذا الموضوع للأسف، يرجع أيضا إلى مفاهيم ثقافية جاهزة، وضعت الكتابة عن (جرائم الشرف) في خانة الصورة العامة للأمة والدين، دون أن تدرك أن هذه المسألة اجتماعية في جوهرها، ولا علاقة للدين بها. وحين حرّمت الاقتراب من هذا الموضوع وسواه، أو نظرت بشك إلى تناوله، كانت تقرن مسألة (جرائم الشرف) باسمنا كأمّة وباسمنا كدين دون أن تدري، لأنها تناست أن هذه الظاهرة عالمية، وأن هذه الجرائم ترتكب باسم الشرف وباسم سواه في كل العالم؛ وحين تم غض الطرف عن هذه الجرائم أدبيا، بل وتحريم الاقتراب منها، فإن اعترافا ضمنيا كان يتم بإحالة هذه الجرائم إلينا، وبالتالي، كنا ندين أنفسنا أكثر، بصمتنا عليها.

لقد أتيح لي أن أقرأ الكثير وأن استقصي الكثير وأن أسمع الكثير، قبل أن أباشر بكتابة (شرفة العار) وكلما كنت أتوغل أكثر، كان الأمر يصبح مفزعًا أكثر، ويزيد من حجم الفزع أنك تقرأ الأوراق وأعداد الضحايا تتزايد حولك، والقتلة يرشقون أوراقك التي تكتب عليها، بدم جديد، مع كل كلمة تكتبها، غير عابئين بشيءٍ.

إن من الغريب حقا، أن يكون لدينا باب في الشِّعر يسمى باب الغزل، وأن نكون من بين الأمم الأشد احتفاءِ بجمال المرأة وجسدها، في حين أن هذا الأدب يقف مترددًا، لا يجرؤ على الدفاع عن المرأة وهي تُقتل، خائفا من نفسه وخائفا من قوى اجتماعية باتت أقوى من العلم وأقوى من القانون وأقوى من الدين أيضًا.

لا أبالغ هنا إذا قلت أن الصمت هو شراكة حقيقة في عملية القتل، والتصويت ضد قوانين ترمي للوقوف في وجه هذه الظاهرة هو مشاركة في القتل، لأن من يمهد الطريق للسكين أو الرصاصة لاختراق جسد امرأة أو فتاة، هو شريك فعلي في القتل، ولأن هذا الصمت والتواطؤ هما العار الحقيقي وهما التفريط الحقيقي بالشرف الإنساني، إذ لا يجوز في ظلِّ أي معيار أن تكون حياة المرأة معلقة بواقعة أو شك أو طمع يحدد أهميته أو خطورته مَن يخطط للقتل على هواه، وهو يختار الوسيلة الدموية الأكثر قسوة للتنفيذ، مطمئنا لاستناده لحائط المجتمع وحائط القانون.

لقد كُتبتْ هذه الرواية لتكون بمثابة احتجاج على مسلسل القتل الذي لا ينتهي، وأحكام الإعدام الطليقة التي تمارس، هنا، أو في أي مكان آخر من هذا العالم دون رادع حقيقي.

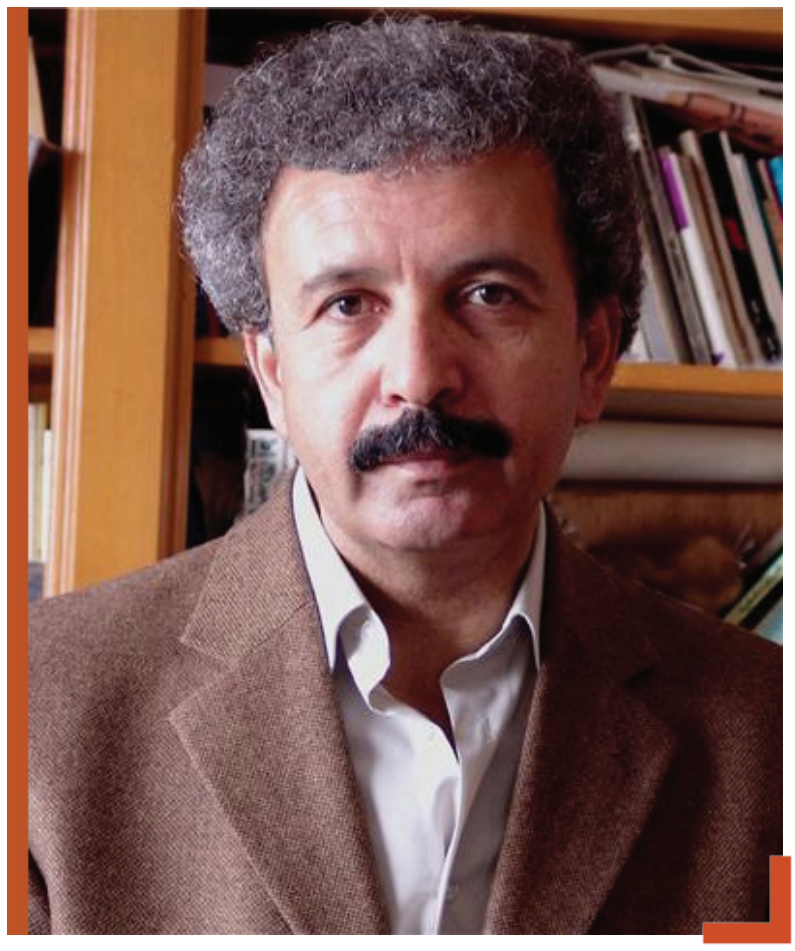

كنتُ أتمنى أن تكون هذه الشهادة القصيرة، أدبيةً، أتحدَّث فيها عن الهواجس الفنية لهذه الرواية، والاجتهادات التي حاولت تقد يمها، وقد عملت الكثير في هذا المجال، لأنني أؤمن بأن القضايا الكبيرة بحاجة دائما لمستويات فنية عالية للتعبير عنها، ولكنني سأترك هذا الجانب للقارئات والقراءِ والنقاد.

لكن ما يهمني أن أشير إليه هنا هو أن هذه الرواية التي تصدر ضمن مشروع (الشرفات) الموازي لمشروع (الملهاة الفلسطينية) هي، والشرفتان اللتان سبقتاها، سعي لتأمل حالنا العربي الذي أشرت، ذات يوم، أننا إذا لم نفهمه جيدا فلن نستطيع أن نفهم ما حدث ويحدث لفلسطين، وما يحدث لنا في عالمنا العربي وقد بتنا ننحدر أكثر فأكثر نحو التخلف وانعدام الوزن وانعدام التأثير، والحياد، فنحن نرى الأنظمة العربية تقف، في كثير من الحالات، موقف الحياد حتى في القضايا التي تمس شعوبها ومستقبل هذه الشعوب بصورة تدفع للاعتقاد بأننا نبتكر اليوم مصطلحا يمكن أن نطلق عليه اسم (ما بعد العبث).

إن من الغريب حقا، أن يكون لدينا باب في الشِّعر يسمى باب الغزل، وأن نكون من بين الأمم الأشد احتفاء بجمال المرأة وجسدها، في حين أن هذا الأدب يقف مترددًا، لا يجرؤ على الدفاع عن المرأة وهي تُقتل

اسمحوا لي أن أعيد ما قلته قبل ست سنوات في شهادتي حول (شرفة الهذيان): لكل منا شرفتُهُ في هذا العالم العربي، ومن ليس له شرفةٌ في منزله فهي بالتأكيد في داخله، ولعل أكثر ما نحتاجه هو أن نقترب من حافتها لنطلّ على ما هنالك، في القاع، فقد يحالف أحدنا الحظّ فلا يرى نفسَه هنالك، مضرجا بدمه....

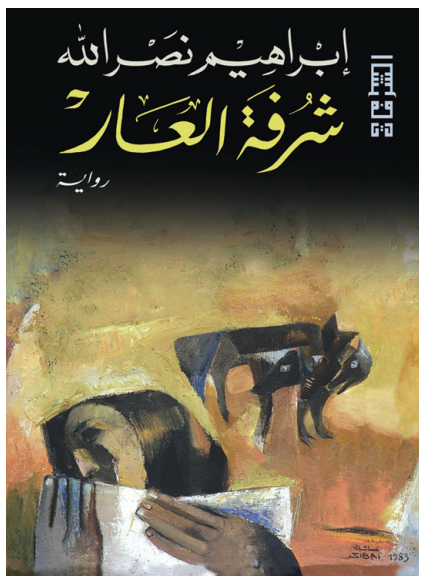

كلمة الشاعر والروائي إبراهيم نصر الله في حفل توقيع روايته (شرفة العار) الصادرة حديثا عن الدار العربية للعلوم ـ بيروت، والذي أقيم في عمّان في يوم المرأة العالمي، تضامنا مع المرأة وتحية لها، وتتناول الرواية قضية (جرائم شرف).

الخنفسة الذهبيّة: القصّة القصيرة التي تخاطب العقل

رشاد أبوشاور

قبل ستة وخمسين عاما، ترجم القاص والكاتب الفلسطيني نجاتي صدقي، المجموعة القصصيّة (الخنفسة الذهبيّة) للقاص والشاعر الأمريكي إدغار ألن بو، والذي يعتبره رائِد وأستاذ القصّة القصيرة، ويبرئه من تهمة التشاؤم التي ألصقت به بسبب سوداوية عالمه القصصي، وما فيه من كآبة ووحشة وخوف.

في المقدمة القصيرة المكثفة، والمكتنزة، يكتب نجاتي صدقي: هذه ثلاث عشرة قصّة من عيون قصص الكاتب الكلاسي الأمريكي الكبير إدغار ألن بو، وهذه أوّل مجموعة تصدر بالعربية لأبي القصص القصيرة الحديثة، وقد انقضى على وفاته أكثر من مئة عام.(ص ٩)

أذكّر بأن المقدمة وضعت قبل ستة وخمسين عاما، وهكذا يكون قد مضى على رحيل إدغار ألن بو أكثر من قرن ونصف

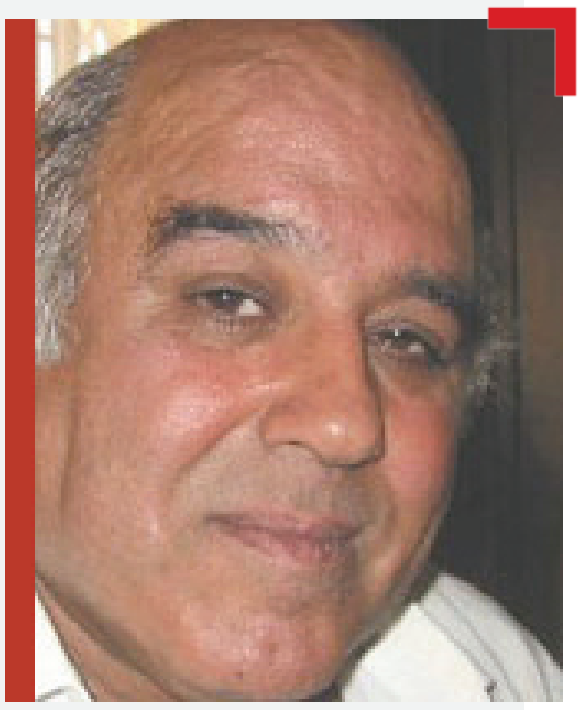

قرن..فهل قصصه بعد كُل هذه السنوات جذّابة، وممتعة، وتترك نفس الأثر الذي أراده مبدعها؟!

للإجابة على هذا السؤال لا بدّ للقرّاءِ من العودة إلى هذه المجموعة القصصيّة التي تضّم بعضا من أشهر قصص الكاتب، وفي مقدمتها: انهيار منزل آشر، و..الخنفسة الذهبيّة، و..أبو الهول، ..والقّط الأسود...

وأحسب، وقد عدت لقراءِة المجموعة التي صدرت في طبعة شعبيّة عن دار (المدى)على ورق جرائد، ووزّعت مع بعض الصحف العربيّة، أن هذه القصص لم تفقد قيمتها، وتشويقها، وتأثيرها النفسي.

ليس دافعي لكتابة كلمتي هذه أن أقرظ هذه القصص،وإن كنت أشجّع الكتّاب والكاتبات الشباب، على قراءتها، وتأمّل فنياتها، ولكنني أردت التوقّف عند المقدمة التي كتبها الراحل نجاتي صدقي أحد روّاد القصة القصيرة فلسطينيّا وعربيّا، والذي عمد إلى ترجمة هذه المجموعة بهدف إفادة القصّاصين والقرّاءِ العرب.

يرى نجاتي صدقي أن قصص بو تحمل طابعا عقليّا فريدا، وتعمد إلى تصوير أحاسيس المرءِ وتخيلاته (القاتمة) أروع تصوير...

يبرر صدقي اندفاع بو في كتابة هذه القصص بأسباب تكمن في صلب حياته منذ أن فتح عينيه في هذا العالم. فهو، أي بو، حُرم من حنان الأبوين في سنّ الطفولة، ثمّ احتضنته أسرة فحنت الزوجة عليه، في حين ناصبه الزوج الكراهية، حتى إنه طرده بعد وفاة الزوجة الحانية.

ومن مصائب حياته موت شقيقه الأكبر، ثمّ زوجته الشّابة بالسّل.

حياة شقيّة لا حنان فيها ولا عائلة، ولا استقرار، هي التي جعلت مزاجه حزينا مستوحشا متشككا.

يخبرنا صدقي أن بو وضع في حياته حوالي سبعين قصّة بين طويلة وقصيرة، حملت في طيّاتها مدرسة خّاصة، وعبدت الطريق أمام كتّاب القصّة القصيرة في العالم قاطبة . (ص ١٠)

ما هي المدرسة البويّة، برأي نجاتي صدقي؟

إنها: تقوم على فن الإحساس غير العاطفي، وإنها تخاطب العقل والمنطق، وتحثّ القارئ على أن يكون مفكرا ومحللاً في آن واحد. (ص١٠)

القصّة عند بو يجب أن تعني شيئا عقليّا، وأن تقدّم للقارئ في

شكل جميل. وأما الخيال في القصّة فليس جوهريًا، وإنما هو بمنزلة جسر فقط يحمل عناصر العظمة، والتسامي، والمبادئ المعنويّة...

نجاتي صدقي، ومن خلال المقدمة، كان يحمل رسالة، أراد نقلها للقارئ والقّاص العربي.

للقارئ ليستمتع، ويفكّر، وللقاص ليتعلّم فنا من فنون كتابة القصّة القصيرة، لا يتاح لمن لا يتقن اللغة الإنكليزيّة، لغة بو.

لا يغيب عن بال نجاتي صدقي أن قصص بو مليئة بالرعب والجنون، والجريمة والموت، وهو كما يرى: يهزّ مشاعر قارئه بشكل مثير، ولكنه غير غريب عن الطبيعة البشريّة في جوهرها.

لا شكّ في أن حياة بو أثارت نجاتي وصدقي، الذي وجد في بعض جوانبها شبها بحياته، فهو، أي صدقي، عاش تجارب مؤلمة، ودفع ثمنا باهظا أُسريّا ـ يمكن العودة إلى مذكراته الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة ـ بسبب انحيازه لقضيته الفلسطينيّة، ومعاداته للصهيونيّة والتصهين في الحزب الشيوعي الفلسطينيّ والأحزاب الشيوعيّة الأوروبيّة...

اصطدم نجاتي صدقي في رحلته الحزبيّة والنضاليّة بقيادات انتهازيّة، فواجهها،ثمّ أدار لها ولما تمثّل الظهر، وفي عزلته عكف على الترجمة، وكتابة القصص، والمسلسلات الإذاعيّة، والمقالات الصحافيّة حتى وفاته في (أثينا) عام ٧٦.

يختم صدقي مقدمته القصيرة: وها نحن نترجمه في نفائس قصصه، راجين أن تفيدنا هذه الترجمة في رفع مستوى القصّة القصيرة العربيّة، ونحن أحوج الناس إلى مخاطبة العقل، وتحكيم المنطق.(ص ١١)

عاش تجارب مؤلمة، ودفع ثمنا باهظا أُسريّا بسبب انحيازه لقضيته الفلسطينيّة، ومعاداته للصهيونيّة والتصهين في الحزب الشيوعي الفلسطينيّ والأحزاب الشيوعيّة الأوروبيّة

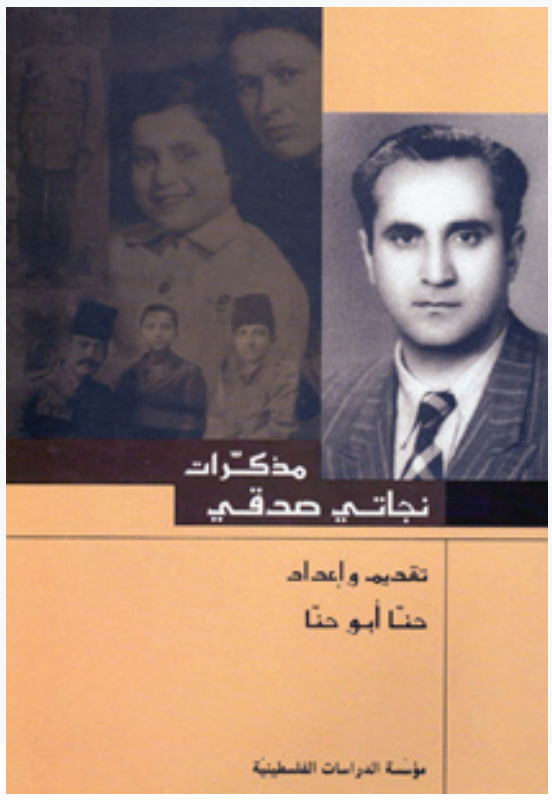

القصّة القصيرة ليست نصّا لا منطق فيه. ليست نثرا فارغا بلا هدف. ليست طرفةً، أو كلمات غامضة تكتب بلا تفكير، أو بضع كلمات ترصّ بجوار بعضها وتوصف بأنها (قصّة قصيرة جدّا).. كما هو رائج في هذه الأيّام!

لو أن نجاتي صدقي عاش حتى يومنا، وقرأ كثيرا مما يكتب ، فسيحبط لأن من يكتبون هذا الكلام ـ الهُراء، لم يقرأوا بو، ولا تشيخوف، ولا موباسان، ولا يوسف إدريس، ولا زكريا تامر، ولا يوسف الشاروني، ولكنهم مع ذلك يكتبون من دون تجارب، وهمّهم أن تنشر أسماؤهم، فلا مخاطبة للعقل، ولا تحكيم (للمنطق) ..ولا جديّة في الكتابة.

عن القدس العربي

<ارابيسك>: فتنة الرواية

الياس خوري

(تقام في جامعة آن اربور في الولايات المتحدة، يوم الجمعة ١٩ آذار/مارس الجاري، حلقة دراسية عن رواية <ارابيسك> لأنطون شماس، لكن ظروفي الشخصية لم تسمح لي بالمشاركة. ولأنني اكون دائما حيث يكون هذا الكاتب الكبير والصديق الحبيب، فقد قررت ان اشارك المحتفين بذكرى مرور ربع قرن على صدور الرواية بهذه الكلمة).

هناك كتب لا تتخلى عن قارئها، لأنها تصير مرايا لروحه، وتدخل حكاياتها وشخصياتها في نسيج حياته الداخلية، وهذا ما فعلته بي رواية انطون شمّاس <ارابيسك>. رواية كتبت بعبرية تغطي لغتها العربية ولا تمحوها، تقرأ لتكشف ان تحت اللغة لغة اخرى، تلوح <كباقي الوشم في ظاهر اليد>، بحسب الشاعر الجاهلي، الذي جعل من الطلل وشماً لا يمحي. وشم <ارابيسك> العربي، لا يلوح فقط، لكنه يحتل المكان. على الأقل كان هذا ما اوحت لي به الترجمة الانكليزية للرواية، التي للأسف، لم تترجم الى لغتها العربية!

لي مع هذه الرواية حكاية اسمها التباس الشخصيات والحكايات، وهذا ما اشار اليه استهلال الرواية بهذه العبارات لكليف جايمس: <معظم الروايات الأولى سير ذاتية مقنّعة. هذه السيرة الذاتية رواية مقنعة>. وضعني هذا الاستهلال، وخصوصاً عندما برزت ملامح شخصية راوي الحكايات وبطلها انطون شماس، في صداقة مع مؤلف الرواية لم تزدها الأيام الا رسوخاً. لكن الالتباس الأكبر صنعته شخصية مايكل ابيض، الاسم الثالث لأنطون، وبديل ابن الماظة الذي مات في بيروت.

قراءتي الأولى للرواية تمت في الطيّارة. كنت اعبر المحيط الأطلسي الذي اسماه اجدادنا العرب بحر الظلمات، حين قرأت حكايات فسوطة، واكتشفت ان مغامرة كتابة النكبة وجدت اخيرا طريقها الى الأدب، عبر استنباط اسلوبها الخاص وطرقها السردية المتشابكة.

وفجأة ظهر ذلك المثقف الآتي من بيروت الى الولايات المتحدة، الذي ما ان اكتشفت انه عمل في مركز الأبحاث الفلسطيني حيث عملت انا ايضاً، وان جزءا من حكاية هذا المركز بدأت في فسوطة، حتى التبست عليّ الأمور. شعرت ان شخصية هذا الرجل الذي قد تكون هويته اللبنانية احد اقنعة الحكاية الفلسطينية، والعكس صحيح، قامت بتوريطي بهذه الرواية. استولى عليّ هذا الالتباس، وأحسست ان انطون شماس ادخلني في روايته من دون ان يدري. المثنى الذي صنعه انطونا الرواية صار الآن جمعاً ثلاثيا، قد اكون انا ضلعه الضائع والمجهول.

اعتقدت ان سبب هذا الشعور الذي غطاني بنثار الكلمات (الكلمات في يد الكاتب لها نثار كالذهب في يد الصائغ)، ناجم عن الغبار الذي خرج من تحت اقدام الفلاحين الفلسطينيين الذين رقصوا الدبكة الشمالية معلنين استسلام القرية لـ<جيش اليهود>.

<عندها غطى الجميع طبقة خفيفة من الغبار الأبيض، وكما هو الحال دائما، فإن الغبار لم يميز بين الجنود المنتصرين والقرويين المهزومين>.

قلت لعل غبار الأقدام تحوّل الى نثار من كلمات، او لعل القراءة في الطيّارة حيث يضيع الزمن، جعلت الأمور تلتبس في ذهني. لكني عندما اعدت قراءة الرواية في بيروت، ازدادت اموري التباساً، واقتنعت ان انطون شمّاس تعمّد الوصول الى مايكل ابيض، من اجل ان يعلن ان روح الفلسطيني تنقسم في ثلاثة: لاجئ يموت، وفلاح يروي حكاية قريته في القرية، ومثقف يكتب الحكاية بمنطقين: منطق اللاجئ الذي طرد من ارضه، ومنطق الفلسطيني الذي صار لاجئا في بلاده.

لا تكتفي <ارابيسك>، بهذه الرؤية الثلاثية للنكبة، بل تذهب الى منطقة لم يجرؤ احد من الكتاب الفلسطينيين او الاسرائيليين على الاقتراب منها، انها منطقة التقاطع مع الآخر. هنا تقيم الرواية حوارها اللامع مع الأدب الاسرائيلي، توأما آموس عوز يتحولان الى توأمين اخرسين في حكاية ثريا خوري، ونعيم في <العاشق> ليهوشع يرفض ان يكون نموذج المثقف الذي يريد الكاتب الاسرائيلي يهوشع بار عون استخدامه في وصفه حلا ادبياً، كما ان الصراع بين الكاتبين الفلسطيني والاسرائيلي في اياوا ليس فقط على اميرة، المرأة اليهودية المصرية، بل ايضاً وأساساً على هوية كاتب الحكاية.

رواية تفتن القارئ عبر جمعها الخيال والذاكرة، بحيث تضيع الحدود وتمّحي الفواصل. يصير الخيالي اكثر واقعية من الواقع، كي يتحول الواقعي اكثر غرابة من الخيال.

انها رواية فاتنة مصنوعة من قاموس الأضداد، بحسب اللغويين العرب. وفتنتها تشير الى وجهين:

وجهها الأول هو التناغم الجمالي الذي يجمع اسلوبيها: اسلوب الحكاية الشعبية وتداعيات <الف ليلة وليلة>، في الفصول التي تقع تحت عنوان: الحكاية، والاسلوب ما بعد الحداثي، الذي يحوّل السرد التماعات تضيء معنى الكتابة ومصادرها، في الفصول التي اتخذت من الراوي عنواناً لها.

اما وجهها الثاني فآت من معنى كلمة الفتنة القاموسي. جاء في <لسان العرب>: <الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار. الفتنة المحنة والكفر واختلاف الناس بالآراء، والفتنة الاحراق>. لا عجب ان تقود رواية الفتنة صاحبها الى ابتداع مقولة تحويل اسرائيل الى دولة لجميع مواطنيها، وهي المقولة التي حاول فيها الفلسطيني مدّ طوق النجاة لنفسه وللآخر، كي لا تتكرس اسرائيل دولة عنصرية تمارس الاحتلال والابارتهايد.

من اجل ان يعلن ان روح الفلسطيني تنقسم في ثلاثة: لاجئ يموت، وفلاح يروي حكاية قريته في القرية، ومثقف يكتب الحكاية بمنطقين: منطق اللاجئ الذي طرد من ارضه، ومنطق الفلسطيني الذي صار لاجئا في بلاده.

لكن اليسار الثقافي الصهيوني لم يكتف برفض المقولة، بل اقترح على صاحبها مغادرة وطنه، لأن على اسرائيل ان تكون وطنا قومياً لليهود، كأنه سبق اليمين الفاشي في اعلان نيته استكمال التطهير العرقي الذي بدأ عام ١٩٤٨. وهذه الواقعة قام دايفيد غروسمان بتوثيقها ونشرها في كتابه: <النوم على الاسلاك، حوارات مع فلسطينيين في اسرائيل>.

اذا كان ا.ب. يهوشع لم ير في فتنة انطون شماس سوى معناها القاموسي، فإنني على العكس تماماً، افتتنت بها، لأنني رأيت فيها كيف تتحول المعاناة الانسانية ادباً عظيماً يجمع الشهادة والحساسية والثقافة والذكاء، في بوتقة اسمها الابداع.

لم يفتنني مايكل او ميشال ابيض ببيروته وصورته امام مذبحة صبرا وشاتيلا فقط، بل فتنني ايضاً بالمخطوط الذي قدمه للرواية، معلناً فيه ان فلسطينيي الشتات تماهوا مع فلسطينيي الداخل، مسقطاً بذلك الحاجز الوهمي بينهما الذي قدمته قراءة اميل حبيبي الجزئية لرواية غسان كنفاني: <عائد الى حيفا>.

على مشارف نهاية روايته استعان انطون شماس بعبارة خورخي لويس بورخيس: <لا ادري من منا نحن الاثنين كتب هذا الكتاب>، كي يتصالح مع فكرة التباس الذات وانقسامها في روايته. اما انا فلم استطع ان التجئ الى احد كي يحلّ مشكلتي مع صرخة الأعماق التي اطلقتها الماظة، وهي تحمل في ايامها الأخيرة وسادة انطون الطفل الذي مات او خُطف في بيروت. وسادة هذه المرأة دخلت شغاف قلبي، ولم يكن امامي وانا اكتب رواية <باب الشمس>، سوى ان استعيرها لشاهينة جدة خليل ايوب، راوي حكاياتي. حشت شاهينة وسادتها بالأزهار والأعشاب التي كانت تلتقطها من ازقة المخيم، كي تشمّ رائحة فلسطين حين تضع رأسها على الوسادة وتنام.

لم تكن رائحة ازهار المخيم تشبه روائح القرية المدمرة، لكن ما لم يفهمه خليل الا متأخراً، هو ان رائحة فلسطين كانت اقوى من رائحة المخيم لأنها استوطنت ذاكرة الفلسطينيين واجسادهم.

كانت فتنة الوسادة وسيلتي كي اقول لصديقي انطون شمّاس ان الأدب يولد ايضاً من الادب، وان ازهار فلسطين استولت على الوسادة، مثلما استولت لغته الفلسطينية على العبرية. واننا لا نزال للأسف، في بداية الحكاية التي صنعها هول النكبة المستمرة منذ ستين عاماً.

عن القدس العربي

إدوارد سعيد وفكرة فلسطين وفضاء أمريكا الشرس

يحيى بن الوليد

تشكّل جبهة 'نقد الاستشراق' إحدى جبهات الأكاديمي الأمريكي والمفكر الفلسطيني الأبرز والأشهر إدوارد سعيد الذي انفرد بأسلوب تحليلي اعتراضي وجدالي نادر في سياق 'مخاطبة الغرب' وانتقاد سرديّاته الكبرى التي تتقدّمها سردية 'الإمبريالية' التي لا تزال تتواصل بأشكال 'كلاسيكية'. وهي الجبهة التي كانت وراء تكريس ريادة إدوارد سعيد في مجال نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي، بل ووراء تدشينه لحقل هذه النظرية في امتداداتها المثيرة على مدار العالم ككل، وخصوصا في الهند. غير أنه لا ينبغي أن نشدّد فقط، وضمن هذه الجبهة الأخيرة، على كتابي سعيد الشهيرين: 'الاستشراق' (١٩٧٨) و'الثقافة الإمبريالية' (١٩٩٣). فثمة دراسات أخرى صدرت ما بين ١٩٧٨ و١٩٩٣، وتندرج بدورها ضمن 'نقد الاستشراق'، مثل 'مسألة فلسطين' (١٩٧٩) و'تغطية الإسلام' (١٩٨١) و'ما بعد السماء الأخيرة: حيوات فلسطينية' (١٩٨٦). هذا وإن كان الكتاب الأول والثاني، ومقارنة مع 'الاستشراق'، 'أضيق تركيزا وأوثق صلة بالسياسة'... في حين أن الكتاب الثالث 'مقالة وجدانية' حول الهوية الفلسطينية، تضمنت عناصر قوية من السيرة، وصاحبتها صور فوتوغرافية دالة لجان موهر. فمن الجلي، إذا، أن 'الاستشراق'، وعلى أهميته، يظل الجزء الأول ضمن هذه الثلاثية أو الرباعية التي كرسها سعيد لدراسة 'الاستشراق'.

وقد طرح إدوارد سعيد، في 'مسألة فلسطين'، وهو الموضوع الذي يهمّنا هنا، فكرة 'الضحية': 'فلسطين ضحية'... هذا بالإضافة إلى أن ما فعله الفلسطينيون بالإسرائيليين لا يمكن مقارنته البتة بما فعله الإسرائيليون بالفلسطينيين. على أن الأهم، في الكتاب، هو مسألة 'الصراع الثقافي الكبير'، حول 'الحكاية' و'السرد' وحول 'الحق في الحياة'، التي تندرج في صميم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي. ولا بأس من التذكير، هنا، بمقال سعيد حول 'السماح أو الترخيص بالسرد' (١٩٨٤) الذي أعاد نشره في كتابه 'سياسات التجريد' (١٩٩٤). وكما يلخص سعيد فـ'التاريخ الفلسطيني ممنوع، والسرديات نادرة'. وأما 'قصة الأصل'، بمعنى البيت والوطن، فتظل هي الأخرى مطموسة، وعندما تظهر تكون متشظية ومنقسمة ومبعثرة. إجمالا فالحياة الفلسطينية منمطة ومختزلة ومجردة من 'صفاتها الإنسانية'.

فالتأويل الصهيوني، وحتى نلتزم بمفاهيم نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي، يقوم بـ'استبعاد' الحضور الفلسطيني عن دائرة 'الخطاب'، وكل ذلك قبل أن يجهز عليه عسكريا في الحرب. ومن ثم منشأ 'فكرة فلسطين' التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر تحليل هذا الخطاب ووضعه في إطاره التاريخي الخاص، وكل ذلك في المنظور الذي يفضي بالفلسطينيين إلى صوغ 'خطابهم النقيض' الذي يضمن لهم حق 'بناء وطنهم' وحق الحفاظ على 'هويتهم' و'ذاكرتهم'. وكما يلخص الروائي والكاتب إلياس خوري، في قراءة 'سؤال النكبة بين الحاضر والتأويل ــ إدوار سعيد و(مسألة فلسطين)' لكتاب 'مسألة فلسطين'، ففكرة فلسطين هي محور كتاب إدوار سعيد... رغم أن الكتاب لم يحلل أسباب النكبة، بل قرأها كجزء من تاريخ الغزو الكولونيالي أو كنقطة بارزة في 'خريطة الألم الإنساني' كما وصفها إلياس خوري نفسه في مقال آخر حول إدوارد سعيد.

على أن ما سلف لا يحول دون التأكيد على أن فكرة فلسطين أصبحت بفضل إدوارد سعيد 'رواية هامة في العالم' كما قال محمد شاهين في كتابه 'إدوار سعيد رواية للأجيال' (٢٠٠٥)، هذا بالإضافة إلى أن سعيد نفسه 'رواية عظيمة جميلة' ستعظم أكثر مع مرور الأيام كما يضيف صاحب الكتاب. فالمقاومة يمكنها أن تتأسس أيضا، وبشكل لا يقل أهمية عن 'المقاومة المباشرة'، على جبهة 'السرد'.

فالقضية الفلسطينية، أو 'القضية المعيار' على حد تعبيره في 'تأملات في المنفى' (ص٤١)، هي التي ردّته إلى 'أمته' وجعلته يلتفت إلى حال العرب بعامة، بل ويتغير جذريا. 'لم أعد الإنسان ذاته بعد ١٩٦٧. فقد دفعتني صدمة الحرب إلى نقطة البداية، إلى الصراع على فلسطين. فدخلت إلى المشهد الشرق أوسطي المتحول حديثا بوصفي جزءا من الحركة الوطنية الفلسطينية...' ('خارج المكان'، ص٣٥٦). وكل ذلك في المنظور الذي أفضى به إلى التشديد على 'السرد' الذي هو قرين الحصول على فضاء نقدي وفكري يمكّن الفلسطيني من إعادة 'سرد الحكاية الفلسطينية'، بل و'تكرارها'، ومن 'وجهة نظر الضحايا'، وفي إطار من البحث عن 'تاريخ بديل'. وقد كانت هذه القضية، التي ندب نفسه، و'طوعا'، للدفاع عنها، وراء 'تفرد' إدوارد سعيد ووراء 'خطابه المؤثر' في العالم. بل لقد كان لها تأثير أعمق في منجزه أو مشروعه الذي جلب له بعضا من 'التضامن' على الرغم من 'العداء' الذي ناصبه له الكثيرون.

> لقد كان 'رجلا واحدا'، لكنه كان 'جهازا إعلاميا ثقافيا' مؤثرا على مستوى التوعية بـ'البعد السياسي' لـ'المسألة الفلسطينية' في الغرب

لقد كان 'رجلا واحدا'، لكنه كان 'جهازا إعلاميا ثقافيا' مؤثرا على مستوى التوعية بـ'البعد السياسي' لـ'المسألة الفلسطينية' في الغرب وعلى مقربة من 'اليهود' وسواء في 'الجامعة' (كولومبيا) التي درّس فيها أو في نيويورك التي تستوعبها كما تستوعب أهم تجمع منظّم لليهود في العالم.

وعلى مستوى الوعي بأهمية الذاكرة، والارتقاء بها إلى مصاف الرد على محاولات 'المحو' و'الإزاحة'، فـ'قد وضع فلسطين في قلب العالم، ووضع العالم في قلب فلسطين' و'بدا حضوره انحيازا وتدخلا إليها لشعب فلسطين الذي وجد فيه سببا للتباهي' كما قال عنه صديقه الراحل الشاعر الفلسطيني الأبرز محمود درويش. وفي السياق نفسه، أو من قبل، قال عنه صديقه الناقد الإنجليزي (أو 'الصديق الرائع والناقد العظيم' كما وصفه سعيد نفسه) رايموند وليامز (١٩٢١ ــ ١٩٨٨) 'إنه لا يعرف فردا استطاع بمفرده أن يثبت قضية أمته وشعبه على خريطة العالم إلى الأبد من غير إدوارد سعيد، إنه هبة الحق في كل مكان'. فلسطين التي ليست بـ'الاسم الحيادي على الإطلاق' كما يقول إدوارد سعيد في 'القلم والسيف' (ص٢٣).

> فالمقاومة يمكنها أن تتأسس أيضا، وبشكل لا يقل أهمية عن 'المقاومة المباشرة'، على جبهة 'السرد'.

ويمكن أن نختم، في هذه النقطة، بأن صاحب 'الاستشراق'، وكما كان يأخذ عليه بعض منتقديه من العرب، كان نموذج 'الفلسطيني المنفي' (أو 'فلسطيني الخارج' لا 'الداخل') الذي لم يجرب العيش في 'المخيم' ولا حموضة اليومي في هذا الأخير... كان يسكن مانهاتن، ويحب البدلات من كبار محلات المصممين، بل كان 'يختار بذلته بأناقة ديك' كما قال محمود درويش في قصيدة 'طباق' التي نعاه بها. غير أن هذا 'الاختيار'، على المستوى المسلكي، لم يبعده، على المستوى النظري الذي لا يقل خطورة، عن دائرة 'الالتزام' بـ'قضيته' كفلسطيني وكمثقف منفي في العالم. هذا بالإضافة إلى أنه 'كان يمتلك قدرة مدهشة على التقاط الأنين الآتي من هناك' [من فلسطين] كما قال عنه رائف زريق. والأكثر من ذلك نجح في نقل 'الرسالة' الصعبة وغير المحببة عن فلسطين داخل المجال الأمريكي العام كما يصف رشيد الخالدي في مقاله 'إدوار سعيد والمجال الأمريكي' المتضمن في الكتاب الجماعي 'الحق يخاطب القوة: إدوارد سعيد وعمل الناقد' (ص٢٠٤). ذلك المجال الذي تبدو فيه 'العنصرية' ضد العرب مقبولة، والذي يصعب فيه العثور على يهودي لا يتماهى مع إسرائيل؛ المجال الذي يرادف فيه الفلسطيني، ومنذ مفتتح السبعينيات، 'الإرهابي'... إلخ. لقد كان بإمكانه أن يرتبط بقضية المرأة والأقليات... وغيرها من قضايا 'الحداثة' و'ما بعد الحداثة' التي تبدو 'مقبولة ومحبذة' في أمريكا كما تصف تلميذته الناقدة فريال جبوري غزول.

غير أن 'مواجهة' إسرائيل، وعلى أرض أمريكا، لا ينبغي أن تتخذ 'بعدا سياسيا' فقط؛ وهنا تكمن خطورة التحليل الموازية أو المضاعفة عند إدوارد سعيد. وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى كتاب 'القضية الفلسطينية والمجتمع الأميركي' الذي هو في الأصل محاضرة كان إدوارد سعيد قد ألقاها في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس) من عام ١٩٧٩. وفي الحق لا يزال هذا الكتاب، ومقارنة مع 'مسألة فلسطين' (١٩٧٩)، مهمّشا ومنسيا مع أنه يقف على 'نظام التمثيل' الذي بموجبه تتم 'قولبة' الفلسطيني داخل الفضاء الأمريكي. وأهم ما يلفت إليه الكتاب هو 'المجتمع المدني' الذي لا ينفصل عن 'المجتمع السياسي' داخل الفضاء نفسه. وأخطر ما في الأمر أن المجتمع الأول، ويتألف من المؤسسات الثقافة والجامعية والدينية، يلعب دوراً بارزاً في توجيه السياسة الأمريكية. وقوة الصهيونية كـ'إيديولوجيا' (عنصرية) ترتكز على هذا المجتمع، أكثر مما ترتكز على المجتمع السياسي الذي هو في متناولها. ويخلص إلى أن المجتمع المدني، لا السياسي، هو الذي ينبغي أن يكون هدفا للنشاط الإعلامي للنضال الفلسطيني. وحتى نختم، في هذه النقطة، لا ينبغي أن نرى في الولايات المتحدة إلا 'قوة صهيونية وحسب' كما يأخذ على أبناء جيله من الفلسطينيين ('خارج المكان'، ص١٨٢)؛ ومن دون شك داخل المنفى الأمريكي. غير أن الإقبال على هذا الصنف من 'الاختيار' أشبه بالإقبال على 'الألغام'، ولا سيما داخل أمريكا أو بالأحرى 'أمريكا الأخرى' التي خلّف بخصوصها إدوارد سعيد مقالا تحت العنوان نفسه (وهو منشور في 'لوموند ديبلوماتيك، مارس ٢٠٠٣).

قلنا إن القضية الفلسطينية، وخصوصا حرب هزيمة العام السابع والستين، والتي، وللمناسبة، وكما يتصور كثيرون، لا تزال تداعياتها متواصلة حتى الآن، هي التي ستغير عالم إدوارد سعيد الداخلي وبالقدر نفسه ستجعله يلتفت إلى ما يحدث، سياسيا، في العالم العربي، وبالتالي ينخرط، وبجسده أيضا، في الكتابة عن الموضوع... لكن من 'منظور نقدي'، و'تجريحي' في أحيان، كما لا ينبغي أن نتغافل عن ذلك. والمؤكد أن هذا المنظور النقدي هو الذي جعل دور نشر عربية تتراجع عن نشر الترجمة العربية لكتاب 'القضية' أو 'المسألة فلسطين' (١٩٧٩)؛ وقد كان بإمكان الكتاب أن يجد طريقه إلى النشر، غير أن إدوارد سعيد أصر على عدم 'حذف' أو 'تعديل' المقاطع 'الخلافية'. ولا داعي لكي نستعيد، هنا، نقده، اللاحق، و'الأعنف' كذلك، لمنظمة التحرير الفلسطينية، وسلطة عرفات بخاصة، الذي تجاوز نعتها بـ'الفاسدة' وتشبيهها بـ'حكومة فيشي'، نحو ربط بـ'المافيا'. هذا بالإضافة إلى ما سجله على الموقعين على 'اتفاقيات السلام'، أو 'الاستسلام' كما نعته، مع الخصم الإسرائيلي، من عدم تمكّنهم من اللغة الإنجليزية. ولم يكن غريبا أن يرد عليه أحد رموز هذه السلطة، ومن 'حفنة البيروقراطيين السمان الذين يلوكون السجار في أفواههم' كما وصفهم سعيد في مقال ناري نشر في 'مجلة اليسار الجديد' (٢٠٠١)، قائلا: 'على 'سعيد' أن يقصر اهتمامه على النقد الأدبي' و'في نهاية الأمر عرفات لن يمكنه مناقشة أمور تتعلق بشكسبير'. بل بلغ الأمر بهذه السلطة حد منع تداول كتبه في فلسطين (غزة والضفة الغربية) مواصلة بذلك معزوفة منعها في الأراضي المستعمرة منذ ١٩٦٧. فقد هجر موقعه في المؤتمر الوطني الفلسطيني أو قدم استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التي انعقدت في الجزائر العام ١٩٩١، وعارض منذ البداية اتفاقيات أوسلو للعام ١٩٩٣، وقطع مع الزعيم ياسر عرفات وطالب علانية منذ ١٩٩٤

باستقالته؛ وكل ذلك بعد أن أمضى، وعضوا مستقلا، بالمجلس الفلسطيني، مدة أربعة عشر عاما (١٩٧٧ ــ ١٩٩١)، وبعد أن شارك في صياغة إعلان قيام دولة فلسطين الذي صدر بتاريخ ١٩٨٨/١١/١٥. ومن قبل كان قد قام بترجمة كلمة الرئيس ياسر عرفات التي ألقاها في اجتماع الجمعية العمومية في الأمم المتحدة عام ١٩٧٤. ولا بأس من التذكير كذلك برفضه دعوة حضور التوقيع في حديقة 'البيت الأبيض' التي سارع نحوها الكثيرون، بل وسخر منها واعتبرها معرض أزياءٍ مثلما اعتبر ١٣ أيلول (١٩٩٣) يوما لـ'الحداد القومي الفلسطيني'. وأصدر، في الموضوع نفسه، وعلاوة على المقال السابق، مقالات كثيرة نشرت في كبريات الصحف الأمريكية والعالمية. وقد تمكن القارئ العربي من الاطلاع على الكثير من هذه المقالات في كتاب 'غزة ــ أريحا: سلام أمريكي' (١٩٩٤) الذي قدّم لها محمد حسنين هيكل. وكما قيل عن ياسر عرفات: كان محاطا بعقول فلسطينية مهمة كثيرة؛ وكان ينصت إليها، غير أنه لم يكن يعمل بأفكارها. غير أن هناك من يتصور أن سعيد في موقفه من القيادة الفلسطينية، وحتى من 'معارضي صدام'، كان يستجيب لـ'صوت المثقف الحالم' لا تجربة السياسي الذي خبر إكراهات العمل السياسي اليومي.

وقد نال إدوارد سعيد موقعا مرموقا في العالم الغربي، بل وتحول، وهو العارف بتفاصيل الصحافة والإعلام الأمريكيين ومدى صلتهما بصناعة القرار، إلى ناطق باسم الفلسطينيين والعرب عامة في كبريات القنوات الإعلامية الأمريكية. لكن دون أن نتغافل عن المتاعب والمتابعات بل والتهديدات بالقتل التي طالته، ومن جهات سبق لها أن اغتالت رموزا فلسطينية، بسبب من إصراره على هذا النوع من الأداءِ الذي هو 'أداءِ المثقف النقدي' وداخل فضاءٍ لا يخلو من عداءٍ لكل ما هو عربي، ذلك العداءِ الذي يتغلغل حتى داخل 'الثقافة الشعبية' كما أسلفنا. وفي هذا السياق يمكن أن نشير إلى أليكس عودة (مدير مكتب كاليفورنيا للجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز) الذي قتل من جراءِ قنبلة انفجار كانت مربوطة بباب مكتبه في الحادي عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٥ وبعد أن كان قد ظهر في الليلة السابقة على برنامج محلي نفى فيه تورّط ياسر عرفات في قضية [خطف الباخرة] 'أكيلي لاورو' ('السلطة والسياسة والثقافة'، ص٩٨). ولا داعي للتذكير بكليشيه 'بروفسور الإرهاب' الذي طال إدوارد سعيد في حياته داخل الولايات المتحدة الأمريكية منذ أن قطع على نفسه الارتماءِ في قضية فلسطين. وهذا 'التوصيف' في الأصل عنوان مقالة 'هجومية فظيعة'، كما يصف سعيد، نشر صاحبها إدوارد ألكسندر (أمريكي ــ صهيوني، آخر)، وقبل حرب الخليج بفترة وجيزة، في مجلة 'كومنتري' (Commentary) الشهرية (الأمريكية اليهودية اليمينية المتطرفة) في غشت/ أغسطس ١٩٨٩. وكان الهدف منها، وكما يشرح سعيد، استفزازه كي يرفع دعوى تشهير، من شأنها أن تشغله عشرة أعوام، وتمنعه من فعل أي شيءٍ آخر؛ ولذلك لم يرد عليها. 'لكنك عليك الاستمرار، وهذا هو الأهم' كما يحسم (ص ٢٥٠). ولا نظن أن هذا الكليشه سيفارقه في الممات، لأنه من الشخصيات المزعجة سواءٍ في الحياة أو الممات. ومن قبل أحرق مكتبه؛ إضافة إلى أنه كان، ومنذ العام ١٩٧١، مراقبا من قبل 'مكتب التحقيقات الفيديرالي' (أف بي آي) الذي له تقاليد طويلة في رصد أهمّ المثقّفين الأمريكيين وإزعاجهم.

> ولا داعي لكي نستعيد، هنا، نقده، اللاحق، و'الأعنف' كذلك، لمنظمة التحرير الفلسطينية، وسلطة عرفات بخاصة، الذي تجاوز نعتها بـ'الفاسدة' وتشبيهها بـ'حكومة فيشي'

وثمة هجمة أخرى تعرض لها إدوارد سعيد لاحقا، وكانت 'مذهلة' كما قيّمها بعض المهتمين بمنجزه. وقد انطلقت شرارتها الأولى قبل شهر واحد فقط من صدور مذكراته 'خارج المكان' في سبتمبر ١٩٩٩. وقد سعت الحملة، وفي إطار من الصراع على 'السرد'، إلى التشكيك في 'مصداقية' الرواية التي رواها إدوارد سعيد عن طفولته... أو بلغة جامعة: 'هويته الفلسطينية'. ودون التغافل عن أن فلسطين، وفي إطار 'جغرافيا الترحال'، لا تشغل إلا 'جانبا' ضمن 'المذكرات'. وقد مهّد للحملة الباحث الإسرائيلي جوستوس ريد فاينر بمقاله (الهجومي) 'بيتي الجميل القديم واختلاقات أخرى لإدوارد سعيد' الذي نشر في مجلة 'كومنتري' (أيلول ١٩٩٩)، واقتبس سريعا في مجلات ودوريات أخرى عديدة على رأسها جريدة 'الديلي تلجراف' اللندنية و'وول ستريت جورنال' النيويوركية (المعروفتين بانحيازاتهما الإسرائيلية). مما جرف النص، وكاتبه، وقراءه إلى دوامة من ردود الأفعال[...] فإذا بنص 'خارج المكان' يجد نفسه هو الآخر، مثل صاحبه، خارج المكان كما قالت سامية محرز في 'قراءتها التنقيبية' في 'خارج المكان'.

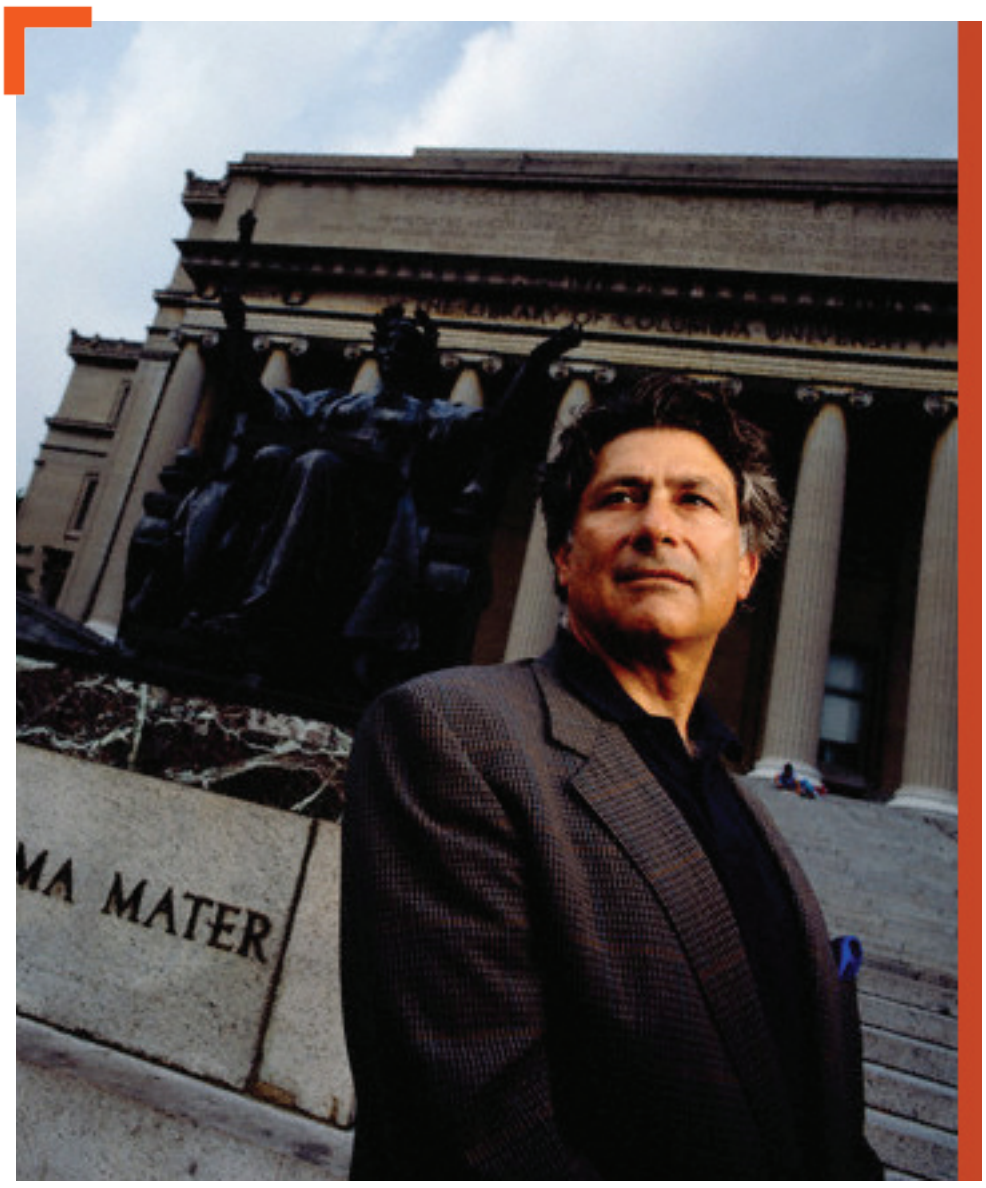

غير أن دفاع إدوارد سعيد عن الفلسطينيين أبعد عن أي نوع من 'التعصب القومي'. فالرجل كان ينخرط ضمن تلك 'المجموعة العلمانية' التي ضمّت الشاعر محمود درويش والكاتب حسن خضر والبروفيسور أحمد حرب والمحامي رجا شحادة والدكتور حيدر عبد الشافي... وغير ذلك من الأسماءِ التي يعرض لها فوزي البدوي (وهو بدوره أحد أعضاءِ المجموعة) في مقاله 'أرض بلا شعب لشعب بلا أرض' إسرائيل والصهيونية في فكر إدوارد سعيد ('المجلة العربية للثقافة'، ص١٢٦). وهذه المرجعية العلمانية، الصريحة، هي التي أفضت بإدوارد سعيد إلى التشديد، وفي سياق الصراع العربي الإسرائيلي، على 'دولة علمانية' أو 'دولة ديمقراطية واحدة ثنائية القومية' (Binational State). فهو لم يكن يؤمن بـ'حل الدولتين'، وإنما بـ'دولة ثنائية القومية' يعيش فيها الفلسطينيين جنبا إلى جنب الإسرائيليين. وتجدر الإشارة إلى أن هناك من نادى بهذه الدولة من قبل، وسواءٍ من داخل فلسطين أو خارجها، غير أنها مع إدوارد سعيد أخذت منحى آخر بسبب من تأثيره أو انتشاره العالمي الواسع.

وكم تمنينا لو أن إدوارد سعيد، أو بالأحرى إدوارنا، ودون أي نوع من السخرية، كان العمر قد أمهله، حتى أيامنا هاته، ليرى في أمر هذه الدولة؟

عن القدس العربي

ترجمة فرنسية لكتاب ادوارد سعيد

قضية إدوارد سعيد

صبحي حديدي

صدرت في باريس، قبل أيام، الترجمة الفرنسية لكتاب الراحل إدوارد سعيد <قضية فلسطين>، الذي كانت طبعته الإنكليزية الأولى قد صدرت سنة ١٩٧٩، وشكّلت إسهام سعيد الأبرز في تصحيح حقائق المسألة الفلسطينية أمام الرأي العام الأمريكي، والقارىءِ الغربي عموماً. وبصدور هذا المؤلف الرئيسي، تكون دار النشر الفرنسية Actes Sud قد قطعت شوطاً نوعياً على طريق استكمال ترجمة أعمال سعيد، بعد صدور <تأملات حول المنفى> عن الدار ذاتها؛ و <الإستشراق> و<الثقافة والإمبريالية> و<خارج المكان> وسواها، عن دور نشر أخرى.

ولعلّ هذا العمل بالذات هو الذي أطلق صورة سعيد كمدافع أوّل، إذا لم يكن الألمع، عن الحقّ الفلسطيني داخل أشدّ المؤسسات الأكاديمية والإعلامية الأمريكية انحيازاً إلى الدولة العبرية؛ كما صنع ـ بعد <الإستشراق> وإلى جانب <تغطية الإسلام>، التتمة الثانية الكبرى لشخصية سعيد الإنشقاقية التي تنحاز إلى الحقّ البسيط والحقّ اليومي والحقّ الثابت، وتُبقي التاريخ نصب الأعين. والأرجح أنّ هذا العمل هو الذي أكسب سعيد لقب <بروفيسور الإرهاب>، الذي <يريق الحبر دفاعاً عن إراقة الإرهابي الفلسطيني لدماءِ الأبرياءِ>.

وفي عام ١٩٨٩ نشر إدوارد ألكسندر مقالته الشهيرة <بروفيسور الإرهاب> في مجلة <كومنتري> الأمريكية، اليمينية الصهيونية المتعاطفة مع الشطر الليكودي من الدولة العبرية، وقال فيه: <يجب أن نتذكر على الدوام أنّ إدوارد سعيد ليس فقط مجرد بروفيسور وإيديولوجي، بل هو أيضاً عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، والناطق الأبرز باسم منظمة التحرير الفلسطينية في وسائل الإعلام الأمريكية، وواحد من أقرب مستشاري عرفات. مَنْ ينسى الصُوَر التلفزيونية لشهر تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، والتي تُظهر هذا المثقف وهو يدنو من ملك الإرهاب، ويهمس (مَن يعرف ماذا؟) في أذن سيّده عند اختتام اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر>!

> والأرجح أنّ هذا العمل هو الذي أكسب سعيد لقب 'بروفيسور الإرهاب'، الذي 'يريق الحبر دفاعاً عن إراقة الإرهابي الفلسطيني لدماء الأبرياء'.

ورغم أنّ سعيد كان من أشدّ المعارضين لاتفاقات أوسلو، وكانت تحليلاته لآثارها المستقبلية المدمّرة بمثابة الكاشف الأحدث عهداً لذلك النوع الدؤوب من الانشقاق الشريف والشجاع والنبيل، فإنّ المؤسسة الصهيونية لم تتوقف عن محاولات تهديم سعيد بالمعنى المادّي الحرفي للكلمة. ولعلّ آخر أشهر الوقائع في هذا الصدد جرت أواسط العام ١٩٩٩، حين نشرت مجلة <كومنتري> ذاتها مادّة مطوّلة لـ <الباحث> الإسرائيلي جستس

رايد فاينر، الذي صرف ثلاث سنوات وهو ينقّب في أرشيف فلسطين أيّام الإنتداب البريطاني، وفي قيود الأحوال المدنية، والصكوك العقارية، وسجلات مدرسة سان جورج في القدس، وسافر لهذا الغرض إلى عواصم عديدة بينها القاهرة وعمّان، لكي يبلغ النتيجة التالية: إدوارد سعيد لم يعش في القدس، ولم ينتسب إلى أيّ من مدارسها، وهو ليس لاجئاً!
وبالطبع، كان مطلوباً من هذا <الإكتشاف> أن يقوّض حكاية سعيد بوصفه ابن المنفى الفلسطيني، وبالتالي فهو لم يعد رمزاً للظلم الإسرائيلي كما كتب ألن فيلبس مراسل <الدايلي تلغراف> في القدس. وأمّا <حكايته المؤثّرة>، التي كانت تُروى وتقتبس في الصحف والمجلات وأقنية التلفزة، فينبغي أن تُطوى اعتباراً من تاريخ ذلك <الإكتشاف>. أخيراً، <هذا الرجل الذي حظي بموقع مدلّل اليسار الأمريكي طيلة زمن مديد، لا يمكن أن يستأثر بعد الآن بموقع الرمز الحيّ للشتات الفلسطيني>.
والحال أنّ نفوذ إدوارد سعيد الفكري والأخلاقي لم ينهض، في أيّ يوم، على استثمار حكايته الشخصية، ونهض في المقابل على توظيف عبقري ذكيّ ودؤوب ومبدئي لكلّ ما في القضية الفلسطينية من أبعاد إنسانية وتاريخية وثقافية وجيو ـ سياسية. وفي إحدى صفحات كتابه <خارج المكان>، الذي يروي بعض محطات حياته، يكتب سعيد: <ما يستولي عليّ الآن هو مقدار الإقتلاع الذي حاقَ بأسرتي وأصدقائي ولم أدرك سوى القليل منه، إذْ كنت في الجوهر شاهداً على العام ١٩٤٨ دون أن أعرفه (...) أبصر الحزن والفقدان في وجوه وحيوات الناس الذين عرفتهم من قبل، وفي الآن ذاته أعجز عن فهم المأساة التي حلّت بهم>.
والحال أنّ الكثير من آراء سعيد السياسية، فضلاً عن تلك الإيديولوجية والفكرية، التي انطوت عليها فصول كتابه الرائد <قضية فلسطين>، سوف تتبلور أكثر، وبعضها سوف يتخذ مسارات مختلفة في قليل أو كثير، على امتداد الأعوام التي أعقبت صدور الكتاب. وكان أمراً حسناً أنّ الترجمة الفرنسية حملت المقدّمة الخاصة، وكذلك التعقيب، اللذين كتبهما سعيد لطبعة ١٩٩٢، وسعى فيهما إلى ربط الكتاب بما كان العالم يشهده من تطورات فاصلة، على صعيد الولايات المتحدة وإسرائيل والعالم العربي ومنظمة التحرير الفلسطينية ذاتها، وما كان يجري على الأرض بعد عمليات <عاصفة الصحراء> ومؤتمر مدريد، وكيف انعكست تلك المستجدات الجيو ـ سياسية على واقع الشعب الفلسطيني، في الشتات وفي الوطن. صحيح أنّ ظروف ذلك الشعب المعيشية، ثمّ السياسية والوطنية والاجتماعية، كانت تسير من سيئ إلى أسوأ بسبب استمرار الإحتلال الإسرائيلي، لكنّ حسّ المقاومة لدى هذا الشعب ظلّ يتعاظم، وتشبثه بحقّ تقرير المصير وإقامة دولة مستقلة صار خياراً نهائياً وحاسماً.
وإذا كان صدور الترجمة الفرنسية قد انتظر ٢١ سنة، فإنّ الكتاب ليس البتة متأخراً عن أزمنة فرنسية ما تزال تسيدها عشرات التنميطات الخاطئة، أو القاصرة، أو الخبيثة عن سابق قصد، حول الحقّ الفلسطيني وجوهر الصراع.

عن القدس العربي

أمل مرقس وفرقتها في مهرجان ووماد العالمي
أحمل تاريخ المرأة والطفل والأرض معي وأيقاع الحياة!

ابتسام أنطون

بعد جولة من الحفلات والفعاليات الفنية والتوافد الاعلامي المكثف لصدى الحضور الجماهيري الرائع الذي بلغ الالاف من الشعبين الاسترالي والنيوزلندي.إستضافت الإذاعات SBS وABC الرسميتين وكذلك الاذاعات الاهلية الفنانة القديرة أمل مرقس وبثت أغنياتها خلال المهرجان وتعاهدت مع أمل ببث أغانيها ضمن برامجها خلال السنة في جميع انحاء استراليا ونيوزلندا. نتيجة للعروض الآخاذة للفنانة أمل مرقس في أستراليا ونيوزلاند من ٥،٣،١٠ حتى يوم ٨،٣،١٠ يوم المرأة العالمي ،اختارت صحيفة "ذا أدفايزر" الاسترالية أمل مرقس عنوانا رئيسا " أمل مرقس –إيقاع الحياة" وتم إختيارها بين توب فايف Top Five ضمن الخمسة الاوائل اللذين واللواتي تم إختيارهن في مهرجان ووماد الذي شارك به فرق وفنانين من مائة دولة من أنحاء العالم .ولخصوصية أسلوبها الفني الآخاذ توافدت جهات الإعلام الأسترالية المكتوبة والمسموعة لحوارها عن كيفية إختيارها هذا الأسلوب من الغناء الملتزم والفريد من نوعه وإحدى حوارتها التي نشرت في صحيفة ميديا مونيتورز والتي طرحت عليها العديد من الاسئلة حول صقل الموسيقى الخاصة بها ومضامينها ورسالتها وكيفية دمجها التخت الشرقي الموسيقى بآليات الموسيقى الغربية وتحديثها الفلكلور الفلسطيني بأسلوب يتماهى مع العصر. وقد أجابت الفنانة أمل : أغني عن فلسفة الحياة ومعايشتها من خلال موسيقى ذات أيقاعات غير صاخبة لطيفة الروح تمنح التفاؤل للبشر!وأضافت قائلة : أن جدول يومياتي هو تعزيز التاريخ الفلسطيني بالحياة اليومية والموسيقى وثقافتي هي الوسيلة لذلك بتناول الفلكلور الفلسطيني كمقطوعات أثرية وصياغتها بأسلوب معاصر لا يتناقض مع ماهية الكلمة واللحن، وحرصت

من حفل ووماد

من ورشة عمل موسيقية: أمل وبسيم دكور «كمان وعود» والياس حنين «إيقاع»

دائما على إدخال مقطوعات فلوكلورية من أنطلاق الألبوم الأول ،حتى الأخير،والأكثر تناولا للفلكلور الفلسطيني هو "ألبوم نعنع يا نعنع" حيث ضم عددا من الاغنيات الشعبية بتوزيع موسيقي جديد ،إضافة لأغنياتي الخاصة التي صقلت طابعي وهويتي في عالم الفن المتداول آنيا، وأخذت خصوصية وعوالم غير نمطية، وصرحت الفنانة امل مرقس عن محدودية الإنطلاق للفنان الفلسطيني داخل البلاد وشحة الفرص المتاحة أمامه،وتعتبر إنجازها الفني مجهودها الخاص ولم تحظى برعاية شركات إنتاج . أما بخصوص مشاركتها في مهرجان وماد ومهرجان نيوزلاند وغنائها أمام أكثرمن ٢٠،٠٠٠ مشاهد مستمع ومستمتع تعتبره هو نجاح باهر وتجربة عمر.إنطلاقا من شعبية حضورها هناك، حظيت الفنانة أمل مرقس على دعوة للمشاركة في مهرجان تراناكي ووماد في ١٤،١٢،٢٠١٠.والتجربة الأكثر خصوصية هي مشاركتها في مهرجان يوم المرأة العالمي في أستراليا، وفي ورشات العمل الموسيقية حيث قالت لجهات الاعلام : ان هنالك قواسم مشتركة عديدة ما بين نساءِ العالم مهما اختلفت حضارتهم، وصلة المرأة بالأرض هي الحب وهو القاسم المشترك الجذري ، وتحديدا للنساءِ العرقيات اللواتي يحافظن على تقاليدهن، واضافت قائلة ان الاغنية هي حلم يتحقق فور إدائها خاصة إذا كانت تحمل معنى سياسي ونحن نعيش في ظل مراقبة وتعتيم دائمين .والأجمل من ذلك ما كتبته صحيفة ديلي نيوز بعنوانها الرئيسي:" مع غروب الشمس إحتشد الألاف من الجمهور عند مسرح بروكلاند ليستمعوا الى المغنية الفلسطينية امل مرقس صاحبة أحد أجمل الاصوات في الشرق الاوسط في عرض غنائي ساحر عاطفي! لم يكتف الجمهور من سماعها من بعيد أنما شق وبكثافه الطريق لمشاهدتها والانصهار بايقاع موسيقاها .على شرف حضورها هناك أقيم مؤتمر صحفي بعد إنتهاءِ مهرجان ووماد نيوزلندا حيث حضر صحفيون مختصون في مجال الموسيقى .والجدير ذكره ان إسطوانات أمل نفذت قبل أنتهاءِ المهرجان، وتلقت دعوات للمشاركة في مهرجانات عالمية جديدة.رافق الفنانة أمل مرقس كل من العازفين الفنان والموسيقي نسيم دكور، عازف الإيقاع الياس حبيب، عازف البيانو د.ألمار بال وعازف الباس تيمور بال .

جدول يومياتي هو تعزيز التاريخ الفلسطيني بالحياة اليومية والموسيقى وثقافتي هي الوسيلة لذلك بتناول الفلكلور الفلسطيني كمقطوعات أثرية وصياغتها بأسلوب معاصر لا يتناقض مع ماهية الكلمة واللحن

من حفل ووماد

ثقافية فنية فلسطينية

مكادي نحاس: نغني للناس وللمسحوقين منهم، نغني لتكون الحياة أجمل و لتكون الحياة أقل مرارة

أجرت الحوار: منى وفيق

ن

ليست هناك طريقة مثلى لتقديم مكادي نحاس أفضل من صوتها .. هذه الفنانة العذبة التي يأمل المرءِ لو أنهم يعبؤون صوتها في أكياس أعشاب طبية تداوي الحلقوم والأذن والوجدان..

مكادي نحاس فنانة أردنية شابة درست الموسيقى والمسرح وصدر لها البومان غنائيان وواحد اخير للأطفال تبدو مكادي الفنانة الحرة على المسرح مرتاحة وراضية بنخبوية آغانيها الملتزمة وواثقة من خطواتها في عالم الطرب كان لنا هذا الحوار مع مكادي نحاس.

هل نقول أن خيارت مكادي نحاس الموسيقية يسارية ؟ إلى أي حدّ تدخّل ذوق والدك المناضل اليساري في اختياراتك و أغانيك؟

ليست يسارية بقدر ما هي ملتزمة إنسانيا و موسيقيا و إخلاقيا بالمفاهيم التي تربيت عليها . و أكيد ذوق والدي الثقافي و الأدبي أثر في تربيتي و إختياراتي الفنية ...

صوتك لا يحتاج لفرقة موسيقية.. هل تخذل الموسيقى الصوت؟

لا تخذله بقدر ما تأخذ دوره في بعض الأحيان ... فعندما أغني بدون موسيقى أعطي كل ما عندي للمتلقي و أضمن أن ما أحس به يصل إليه ١٠٠ ٪ دون أي تأثير لعنصر آخر و هو في هنا الموسيقى .

تقولين أن دراستك للمسرح ساعدتك على تعلم السيطرة على انفعالاتك حين مواجهة الجمهور.

ماذا للفنان غير انفعاله الداخلي والخارجي؟ لماذا يجب أن تكون هنالك سيطرة من فنان يدعو في كل شيءٍ إلى أنواع عدة من عدم السيطرة؟؟ لم أقصد بالسيطرة " الحد من التعبير أو عدم التعبير على العكس تماما... ما قصدته هو أن المسرح هذب هذه الإنفعالات و أصبحت إحترافية أكثر ....

ألن يتهموا مستقبلا الأغنية الملتزمة بالإرهاب الموسيقي؟

لا أعتقد ذلك أبدا و لا أتمناه ... اتمنى أن يجتمع الناس حول الأغنية الملتزمة ليكون هناك إزدهار موسيقي و فني و ثقافي ذو قيمة جمالية و فنية ثقافية عالية .

ماذا عن المسرح الغنائي؟

أتمنى أن أخوض هذه التجربة قريباً

صرّحتِ أن الموجود حاليا على الساحة الفنية ضجيج ..طيب ،أليس كل ضجيج جديد يلغي الذي قبله ؟؟والضجيج لا ينتهي يا مكادي...وإذن؟

ما قصدته بالضجيج هو الإزدحام الحاصل على الساحة موسيقيا و فنيا ... و للأسف أصبحنا لا نعرف المغني من الآخر لكثرتهم و الكثرة لا تعني الرقي و الجودة بل الضجيج الذي تحدثت عنه .و المصيبة أن الضجيج لا ينتهي ..... بل يتنافسون على قوته !و كأن قوة الضجيج هو مقياس نجاح الأغنية !

هل أثارت رنّة "خلخال" الانتباه نحو "كان يا ماكان" أم صرفت الانتباه عن كل شيءٍ إلا الخلخال؟

لكل من خلخال و كان ياما كان رنته الخاصة ... و لا أعتقد أن الجديد يلغي القديم بل العكس ... إذا لفت الجديد سمع الناس فيهرعون باحثين عن القديم و عن تاريخ الفنان

فرقة كورال "ع البال" هل هي على البال؟

كانت تجربة لطيفة أثناءِ إقامتي في دمشق مع مجموعة من الأصدقاءِ و للأسف لم تستمر لأسباب عديدة أجهل معظمها !

درست الموسيقى بالكونسرفاتوار بيروت .. هل تحتاج الموسيقى للدراسة على اعتبار صوتك يناشد الفطرة الموسيقية مباشرة؟

كل شيءٍ يحتاج إلى تهذيب ، الصوت السمع يجب أن يكون الفنان على دراية بما يفعل شريطة أن لا تطغى الدراسة على الفطرة بحيث يصبح الأداءِ أكاديميا بحتا و خاليا من الإحساس.

"ما ..كا....دي" ، لاسمك الإفريقي معنى "حرية" وهو أيضا "أنين"نحّاس انصهرت طفلته مع مواد منصهرة. فهل حريتّك منصهرة في صوتك تماما؟؟

هذا ما أحسه تماماً فاللحظات الوحيدة التي أحس بها أنني حرة وبكل معنى الكلمة و أنني أنا هي عندما أكون على المسرح أغني ...

أسماءِ معينة

لا أستطيع ان أقول أسماءِ و لكن النشاز كثير و للأسف موجود ....لدرجة أنني لا أستطيع أن أكمل الإستماع إلى الأغنيات كاملة

مالذي تضيفه توليفة من الجاز والموسيقى اللاتينية على كلمات عربية وصوت عربي؟؟

تضيف تنوع كبير من ثقافات مختلفة : ثقافة الجاز و الموسيقى اللاتينية و الثقافة العربية و تعطي لكل منها نكهة خاصة و ينتج عن هذا الدمج موسيقى رابعة و هو ما أطلقوا عليه (الأورينتل جاز) و هي تسمية خلقت لهذا النوع من التوليفة .

ترفضين الغناءِ في المطاعم .ألا ترين معي أنك لو استغللت فرصا متاحة من هذا القبيل لتحويل الرديئ إلى جيد فسوف يكون نبش الأذن الموسيقية للمتلقي العادي ذا جدوى؟؟

لا أعتقد أن المطاعم هي المكان الأمثل لنبش الأذن الموسيقية للمتلقي العادي .... الموضوع موضوع ثقافة عامة يجب أن تكون منتشرة في عالمنا و أن نعلم أطفالنا أن يميزوا الغث من

لم نعرفك كنحّاتة ولا كفنّانة تشكيلية بشكل كاف. أهو تقصير منّا أم منك أم أنّ صوتك أبعدنا عن إبداعاتك الأخرى؟

لا أعرف و لكني لا أطرح نفسي كفنانة تشكيلية أو نحاتة .. هي نشاطات أقوم بها عندما أريد أن أصفي ذهني ... و لأكون وحدي أتحدث مع ذاتي ...و لكني أفكر أحياناً بعمل معرض للأعمال و لكن الوقت يتسرب دون أن أدري!! فا إنشاءِ الله خير

معروف أنك تستمعين عنوة إلى جميع الفنانين الجدد فأعمالهم على حدّ قولك هي دروس أوسع ممّا تعلّمتيه في المعهد الفني ، بصراحة .. من أكثر من يصيبك بنشاز روحي منهم .؟؟اريد السمين .

الأصوات الأردنية المعروفة في المغرب العربي قد تنحصر بين سميرة توفيق وعمر عبد اللات وديانا كرزون دون إغفال مكادي نحاس حين نتحدث عن الملتقي المثقف بطبيعة الحال..لماذا هذا القصور في وصول الصوت الأردني إلى المغرب العربي؟

الإعلام و التبادل الثقافي الغائب في وزارتي الثقافة الأردنية و المغربية و نقص التواصل بين البلدين بشكل مباشر مع الفنان او المؤسسات المهتمة بتنظيم الأمسيات أو المهرجانات في كلا البلدين حيث أننا نفتقر لآلية عمل تخدم هذا الجانب.

أطربت جمهورك بأغان من التراث العراقي والفلسطيني ..ومعروفة أنت بتصديرك هذا في غلاف ألبوماتك " أغني لفرح الناس حتى لو كان الغناءِ حزينا ،وأمزج أطياف الغناءِ بلون العراق قاصدة أرض الكنانة داخلة أبواب الشام وبحر بيروت والأردن فؤادي.. أين هو التراث المغاربي المعروف بغناه وتنوعه وعراقته في خارطتك الفنيّة؟؟ أين هو الخليج العربي أيضا؟؟

للأسف ليس لي إطلاع على الفن المغاربي و أعتقد أنني مقصرة في البحث في هذا المجال ... و الخليج العربي أيضا ربما في المستقبل القريب سيكون هناك أعمال من المغرب العربي و الخليج ...

تأخذك أغنية "عمّان" إلى الدوار الرابع ..إلى الأشجار الموجودة هناك ورائحة التراب المبتل بالمطر ..مكادي ..إننا أمام جمال حقيقي نبكي وحسب .هل تبكي عمّان حين تسمعك ..هل تبكين حين تسمعينها؟

عليك أن تسأليها و لكني أعرف أنني أبكي عمان كلما غنيت لأن عتبي كبير و حبي أكبر و لكن أملي بأنها ستكون الأفضل أكبر و أكبر

جاهدة وهبة ،سحر طه، ريما خشيش ، ريم بنا ، زياد سحاب، لينا شماميان، زياد الأحمدية ، أميمة الخليل ،غادة شبير، مي نصر ومكادي نحاس وغيرها من الأسماءِ المعروفة بأغانيها الملتزمة متّهمة اتهاما جميلا بكونها الاختيار الموسيقي الاول لصفوة المثقفين.. متى يكون مزعجا هذا الترف النخبوي؟

دائما مزعج ... لأن ما يقدمه كل من ذكرت هو للناس دائما و أبدا و للمسحوقين منهم و المظلومين و المقهورين ... نغني لهم و منهم ..نغني لتكون الحياة أجمل و لتكون الحياة أقل مرارة .

كانت لك تجربة مع زاهي وهبي في قراءِة الشعر المرافق بالغناءِ .. هل هذه التجربة تشتّت المتلقي بين المطرب والشاعر أم أنّها تخلق إبداعا ثالثا يذيب الشعر والغناءِ و لا مسمّى له ؟؟

تجربة رائعة و تخلق إبداعاً ثالثاً ...فلا شعر بلا غناءِ و لا غناءِ بلا شعر ...

خضت مؤخرا تجربة الغناءِ للأطفال بإصدارك لألبوم"جوا الأطفال" ..مكادي ، هل تجربة الغناءِ للطفل المثقف ؟؟

لا أعتقد أننا نستطيع أن نصفها هكذا ... بل هي أغنيات لكل الأطفال و هي أغنيات تعتمد على البساطة و العمق في آن و أنا اعمل حاليا مع مؤسسات المجتمع المدني و مع بعض الجهات الحكومية في الأردن لترويج هذا العمل على أكبر نطاق ممكن للأطفال في المملكة . ليكون في منزل كل طفل.

من أجواءِ أغنية"رحل" التي تغنينها "ربما لأنه لم يستطع احتضاني وربما لانه لم يحتمل احتضاري فتركني ورحل"..سر الرجل في القدرة على الحضن وكيفية هذا الاحتضان واستعياب احتضار المراة..نادر وجود هذا الرجل مكادي..هل ينتظرك؟

ليس فقط القدرة على الحضن ....!! و إنما القدرة على المشاركة و القدرة على الإحترام و التفهم و الحب ... و أعتقد أنه ينتظر!

مكادي صاحبة الفيديو كليب الوحيد؟متى تصبحين صاحبة الفيديو كليبين؟

نعمل حاليا على إنتاج كليب جديد لأغنية جديدة أتمنى أن نوفق في ذلك .

شاركتِ محمد منير في أولى حفلات مهرجان الأخير ونعرف كم حلمتِ بالتعاون معه ..ماكان موقفك عدم طباعة اسمك على التذكرة مع محمد منير ولا عمل تذاكر خاصة بك ؟؟ وهل هنالك تعاون مقبل مع الفنان المصري محمد منير مستقبلا؟

تضايقت طبعا و لكنني لم أعبر عن ذلك بشكل مباشر للمهرجان . و أعتقد أن هذا خطأ من أخطاءِ كثيرة وقع فيها القائمون على المهرجان .

اتمنى ان لا تتكرر .
أنا من أشـد المعجبين بما يقـدم الفنان محمد منيـر و أتابـع أعمالـه دائما و كان لي الشـرف الكبير أن أكون معه في نفس الليلة...و أتمنى أن يكـون هناك تعـاون لنا معا في المستقبل .

ماهي مشاريعك الغنائية والمسرحية خلال الفترة القادمة؟

جُـوّا الأحلام عمل غنائي موسـيقي أنتج كألبوم؛ إسـطوانة غنائية للعائلة و الطفل، معظم الأغاني ملحنة ومكتوبة خصيصا لهـذا الألبـوم وترويدة فولكلوريـة، تـم العمل عليها موسـيقيا. والألبوم نتـاج عمـل مجموعـة من الفنانيـن الأردنيين المتميزيـن؛ سوسـن حبيب، نضـال عبدالغني، رامـي دلشـاد وروان قمي.
هدف هذا المشروع هو إغنـاءِ المكتبـة العربية عامة و الأردنية المحلية خاصـة بأغنيـات خاصة بالطفل ذات قيمة ثقافية

و فنيـة و أخلاقيـة عالية . حيث أنها تتنـاول مواضيع كثيرة منها : العائلـة ـ المحبـة – الترحيب بالطفل عند الـولادة - الألعاب الشـعبية - الرفـق بالحيـوان - أغاني لوقت النـوم . كما و أنها تثري مهارة التذوق الموسيقي لدى الأطفال كما و أنها أغنيات سـهلة الحفظ و تناسب الأطفال من جميع الأعمار.
يحتوي الألبوم علـى ٧ أغنيات بعناويـن؛ العالم الجميـل، غنى القمـر، أحـب عائلتي، يـلا تنام، شـبرة قمـرة، زايد فـي الحلا وأغنيـة عالـم المحبة. شـارك في تفيذ الموسـيقى والتسجيل: سوسـن حبيب/ كورال وتوزيع أصوات، يعرب سميرات/ كمان، سـعيد بازوقة\ أوكورديون\ تشيلو
نضـال عبد الغني \بـاص غيتار وغيتار ، رامي دلشـاد \كورال، حنـان إحسـان \ كـورال ، مع كورال الأطفال : سرار خواجة \ وسـن خواجة\ مجد أبو عليا\ محمود أبـو عليا\رسـل عبد الغني \بتول عبد الغني.
وقـد تـم التسـجيل و التوزيع بإسـتوديو أوكسـجين مـع مهندس الصوت سـعيد بازوقة وبإشـراف موسـيقى لسوسن حبيب. ومشروع الألبوم قدم بدعم من كل من الصنـدوق العربي للثقافة و الفنون وأمانة عمان الكبرى، وبمسـاهمة من وزراة الثقافة والمركز الأردني للبناءِ المعرفي (سـرت) ويوزع حصريا من خـلال أورانج ريـد. و هناك أيضـا أغنيات أقوم بالعمل عليها و أتمنى أن تكون جاهزة في صيف ٢٠١٠ في إسطوانة

اليوم ، وفـي ٢٠١٠ ، كيف تعرّف مكادي نحاس عن نفسها كمطربة وإنسـانة وعن تجربتها في الغناءِ؟

كمطربـة لا أزال فـي بدايـة الطريـق و هناك الكثير مـن الأبواب التـي أريـد أن أطرقها في الغناءِ و نصـوص كثيرة أتمنـى ان اغنيها ... كما و هنـاك الكثير الكثير لأتعلمه... كإنسـانة كوني إنسانسـة تحتـرف الغناءِ لا أعـرف كيف يمكن الفصل بين الإثنين و لكني أعتقد أن هناك الكثير لأقدمه لمن حولـي و لأصدقائي و هناك الكثير من التجارب التي أنتظر أن أخوضها مثل تكوين عائلة ...

أحب أن أختتم هذا اللقاءِ الطويل معك بسـؤال طريف.في تعليق لك عن الحادثة الشهيرة لحذاءِ "منتصرالزايـدي" قلـتِ أنها كانت "فشـة غل"لا أكثر وتمنيتِ أن تتم محاربة الإرهاب الأمريكي بشـكل آخرَ من خلال الثقافة والاقتصاد وغيرها وليـس من خلال الحذاءِ.مكادي ، تخيلي معي لو أن "بوش" كان قد اقام مؤتمرا غير صحافي مع مطربيـن يطرحون عليه أسـئلتهم أو تعليقاتهم ..ما كنتِ لتقولي/لتغني؟؟

لا أدريَ إذا كنت سأغني و لكن إذا لم يكن هناك مفر فسأردد "أهودا لي صار وآدي إلي كان"

«الطاحونة مسكرة وفيها مية معكرة» مسرحية الحبل السري في غزة كسر للجمود ومواجهة أخري للواقع

باسل خلف

من وسط معاني المعاناة والجمود والقادم المجهول في مستقبل قطاع غزة المحاصـر من محتل غاصب ومن فصائل فلسـطينية متخاصمة وبعد أن دقت الساعة الأخيرة في عقول مـن يحملون هم الوطن والقضية ، المرة ليست بسلاح ولا بصواريخ وإنما بعمل مسرحي هو الأول من نوعه تنقل المخرج والممثلون فيه ما بين الإثارة والتشويق مرورا بالفكاهة والترفيه ووصـولا إلـي الحقيقـة المؤلمـة التي يعيشـها الغزيون وسـط نقد جارح ولاذع أحيانا إلي كل من يتحملون مسؤولية القطاع ..
قطـاع غـزة بمواطنيـه الكثر وزحـام الأحداث المتتاليـة اعتبره البعض مـن الفنانين والقائمين علي أشـهر أحـداث العالـم الفنية بأنه مسـرح كبيـر تدور بـه روايـات وكتابـات مختلفة في الحياة اليومية للمواطن الفلسـطيني وتمثل في مجريـات الأيـام مسـرحيات كثر ولكـن بدون مخـرج ولا ممثليـن فالمخرج هو مـن يتحكم بحيـاة المواطـن والممثلين هم أنـاس واقعين يعيشون الغصة والألم والمعاناة ، ولكن مسرحية الحبل السري كسـرت الجمود وقلبت الطاولة لتقول للجميع بان في غزة ما لم تشـاهدوه بعد ، وأن هناك مـن الخفايا ما لا يحصي وأن العقل الإنساني يسـتطيع الوصول للتفكير في مستقبله إلي فتـرة بعيدة إلا أن المواطـن الغزي أصبح غير قادر علي أن يفكر في مسـتقبله القادم ولو ليوم واحد فقط ..

النجـاح هو مطلبنا وان خسـرنا فقد نلنا شـرف المحاولة

ببعـض الكلمات الدافئة التـي دخلت إلي قلوب الحضور وعلـي مدار ثلاث أيام بدأت الإعلامية المعروفـة فـي قطـاع غـزة مني أبو يوسـف افتتاحية المسرحية التي عرضت في مركز رشاد الشوا الثقافي في قطاع غزة لتحاول كسر جمود الحضور أولا وتهيئة الأجواءِ لعاصفة قادمة توقع البعض جزءِا منها ولكن الباقي كان أدهي وأكبر وفصول المسرحية أثبتت ذلك . فبعد أن قدمت ترحابها وتحياتهـا للحضور كانت البداية الأولي بعرض فيديـو قصير مـن إخراج حازم أبو حميد اسـتعرض فيـه الفنانيـن كلماتهـم ووجهـوا بعـض الرسـائل للحضور تعريفا بهم وتعريفا بالمسرحية و ما تحمله لهم الدقائق القادمة...
وفي حديث كاتب رواية مسرحية الحبل السري إياد أبو شـريعة قال أننـا نتمنى النجاح وهذا ما سعينا له ولكن إذا فشلنا وهذه هي تجربتنا الأولي فإننا بالطبع سـننال شـرف المحاولة والتجربة .. أما مخرج المسـرحية والذي سـبق وان أخرج أعمالا درامية إذاعيـة وفنية في غزة حازم أبو حميد فقد حاول أن يسـتقطب الجمهور بكلماته البسـيطة وكأنـه يطلـب منهـم أن يعيشـوا فصـول المسـرحية كمـا عاشـها هو لتخرج إلي النور .
فنانـون من قطاع غـزة منهـم مـن ظهـر فـي أعمال سـابقة ومنهم من كانـت لـه الحبل السـري المنبـر الأول فزهيـر البلبيسـي الوجـه المعـروف بأعماله الدراميـة في الفن الفلسطيني والفنان سـعيد عيد والإعلامي كاظم الغف ورامز حسن وكمال أبو ناصـر قد اعتاد المواطن الغزي علي الاسـتماع إلي أعمالهم الدراميـة الإذاعية ولكن هـذه المرة كانت الصورة هي الأقوى من خلال عملهم المسـرحي " الحبل السري " بالإضافة إلي وجوه جديدة ومنها الفنان مؤمن شـويخ الذي لم يظهر إلا ببعض الأعمال البسيطة ..

مسارح غزة .. حلم يحتاج إلي تحقيق

والحديث في مسرح غزة هو نوع من الجنون فعندما تتحدث عن مسرح تذهب بك المخيلة الـى صالة عـرض كبيرة مكيفة بها مـن الترفيه ما بها وتحمل في جنباتها عاملين كثر ووسـائل راحة لا تعـد ولا تحصى ، أما غـزة هذه البقعة التي حملت أحداث كبيرة علي مر عصور سابقة وسنون ماضية لم تكن لتحمل صالة عرض كالذي يحلم بهـا المواطن فصالات العـرض الموجودة بغزة محدودة ولا تكاد تتسع لعدد محدود من الحضور ، في الحبل السـري كان الحضور أكثر مما يتوقعه القائمون فلا الصالة اتسـعت ولا حتى شاشـات العرض الخارجية ورغـم افتقار الصالة لوسـائل العرض المناسـبة إلا أن القائمين علي المسـرحية وهم شبان فلسطينيون في مجملهم كانوا اقوي من ذلك فالفنان التشكيلي غانم الدن عبر عن إبداع الفنانين التشـكيليين في غزة بأن قام بتصميم وتنفيذ ديكور المسرحية والذي هو عبارة عن صورة مصغرة من مخيم فلسطيني .. غانـم الدن تحـدث لنا عن هذا العمـل قائلا أن كواليس العمـل صعبة ومجهـدة ولكن الإصرار علي النجاح هو الذي أعطاه وزميله في الديكور طارق الهواري وعدد من المساعدين الأمل في الوصـول الى ما قاموا به من عمل ،الدن تحدث علـي أن العمل قد جاءِ من خـلال أخذه صورة لشوارع المخيمات الفلسطينية وقد لوحظ ذلك من خلال اسـتخدامه وتوظفيه للصورة والفكرة فقد عمد أن يكتب علي حوائط المخيم شعارات للجبهة الشـعبية والديمقراطيـة وفتح وحماس وهـذا مسـتوحي من فكـرة عمل المسـرحية وكذلك من الواقع اليومي عندما تكتب أسـماءِ الشـهداءِ وتعلق علي الحوائط . الفنان الدن كان قد قام برسـم لوحات سـابقة ولكن هذه المرة ومع قلـة إمكانيات القطاع من اسـتخدام مواد جاهزة وديكـورات مصممة ميكانيكا فقد اعتمد علي يده وبعض الأدوات البسيطة ومادة القماش في تصميم الديكور الذي أذهل الجميع .

مشهد من المسرحية

حبل سري موصول .. وقطعه يحتاج الكثير

بلا شـك أن عدد التنظيمات الفلسطينية العاملة كان له أثر كبير بنواحي مختلفة ولكن ما حاولت الوقـوف عليه المسـرحية هـو دور التنظيمات في تفكيـك المجتمع فبعد أن بدأ الفنان مؤمن شـويخ الـذي قام بـدور "لافـي " بكلماتـه التي اسـتمر في تكرارها طوال المسرحية "الطاحونة مسـكرة وفيها ميـة معكرة " وهي إشـارة إلي أن مسـتقبل القطاع مظلم وسوداوي وأن المية "الماءِ" المعكرة هي أشـارة إلي الأيدي الممتدة لمساعدة القطاع والتي هي فعلا ملوثة بسياسات مختلفة لا أحد من التنظيمات يستطيع مصارحة شعبه بها .
المجنـون "لافي" هو الصرخة التي مثلت مطالب المواطن الفلسـطيني بشكل ساخر ودرامي فقد جمـع مفاصل مختلفـة من القضية الفلسـطينية ليقـول فيهـا كلمته وهـي كلمة المواطـن ولكن ما دعـاه أو دعا الكاتب ليكون مجنونا هو أن الكل لايستمع لكلامه وبالتالي هو إشارة لما يتردد من صرخات المواطن في غزة وبدون جدوي.
الفنانـون زهيـر البلبيسـي وقام بـدور " فواز " صاحـب قهوة في المخيـم والفنان وائـل أبو حجر قام بدور "أبو جلدة" وقام بدور بائـع أحذية مثلا الحيـاة اليومية لمعاناة الإنسان الفلسطيني سواءِ فـي الوضع الاقتصادي وذلك من خـلال طلب"فواز " الدين وتبرير" أبـو جلدة " له عدم سـداد دينه لعدم وجـود بيع وعمل له . وفي ذات المشـاهد كان الفنان سعيد عيـد والذي قام بـدور "أبو خيـري" يحاول أن يترجم معانـاة الأهالي مع أبنائهـم فقد قال أن أبنائهم شعارهم " من عمود لعمود بفرجها الرب المعبود " وهو مثل فلسطيني دارج ..
البطالة والزواج ومشـاكله والمطلقات في غزة وقضية الأموال والنصـب التي حدثت في قطاع غزة إبان العدوان الإسـرائيلي علي قطاع غزة وهمـوم المواطـن اليومية من إغـلاق للمعابر وعـدم وفرة المـواد واحتكاك النـاس ببعضهم البعض كانت محـاور متعددة للفصل الأول من المسرحية .

انطبـاع الجمهـور .. شـكل دفعـة للممثلين في أدوارهم

حضـور المسـرحية كانـوا مـن فئـات مختلفة

فلـم يكن هناك تذاكـر بل كان الحضـور مجانيا للجميع فالمخـرج المعروف سـعود مهنـا والفنـان القدير أكرم عبيد وجواد حـرودة وعدد كبير من الصحفيين تصدروا المقاعـد الأولـي للعرض وخلفهم أحتشـد أكثر من ألفي مشاهد والعدد كان يتزايد مع مرور الثلاثة أيام ، الحفاوة التي كان يسـتقبل بهـا الفنان عندما يخرج إلي المسـرح كان قويـة جدا ،والأكثر تأثيرا مـن ذلك فقد عمد كاتب الرواية والمعالج الدرامي للمسرحية أن يدغدغوا مشاعر الحضور وقد كانت الفنانة إيناس السـقا التي قامت بدور "أم زكي "المرأة الفلسـطينية أم المخيمات لها الأثر الكبير علـي قلوب الحضور مع تكامل دور الفنان مؤمن شـويخ "لافـي " الذي كان يكرر كلماته " الطاحونة مسـكرة وفيها مية معكرة" في مواقف تتلاءم والحديث الذي يدور بين الأدوار الأخرى بشـكل يعطي قوة للمشهد فمن المشاهد الذي أبكت الجمهـور وبدت المعالم واضحة من الم كل أمهات فلسطين عندما كانت تصرخ "أم زكي " بأنها تريد رؤية ابنها الشهيد وترغب في احتضانه ورؤيته من جديد بعهـد أن استشـهد ولو لمـرة واحدة وأنهـا دائما تحلم بـه وتتخيل صورته في العيد والفـرح وفي الألم والحزن .. مشـاهد عايشـها الكثير من الفلسـطينيين الذين فقدوا أحباب لهم ولكن الأكثر تأثيرا والذي زاده قوة ما كان من آهات ومؤثرات للمنشـد وائل اليازجي الذي قام بإنشاد مقاطع مختلفة موسيقية خلال المسرحية .

الجمهور صفق بحرارة إلي كل شـيءٍ جميل بالمسرحية وهـذا متوقع ولربما يكون افتعال فاعل لكن ما كان يظهر جليا هو الدموع التي تساقطت من شبان وشابات حضروا المسـرحية من شـيوخ وأطفال من نسـاءٍ منهن أمهات أسـري وشهداءٍ وجرحي وهذا ما كان قد نشده المخرج وكاتب الرواية .

مشـهد الكابونـة وكـرت المـؤن كان الأكثـر قـوة معنا ومضمونـا فما حملته الحقيبة التي رسـمت عليها شـارة الأونروا " وكالـة الغوث وما بداخلها مـن مجموعة علب أشـار لها "لافي " بأنها قضية فلسـطين وقال وهو يمسك

مشهد من المسرحية

بكل قطعة ويرميها من داخل الحقيبة " هذه القدس وهذه اللاجئين وهذه الأسري أما هذه فالحصار وهذه الإغلاق .." وبعد ذلك لوحظت دمـوع الفرحة مع الغصة والألم علي وجـوه الحضور والتي اختلطت بأصـوات التصفيق الحارة التي عبرت عن ارتياح الجمهور .

الانقسام الداخلي .. جرأة في الطرح وقوة في المضمون

بعـد أن انتهي الفصل الأول من المسـرحية وبدون طول انتظار بدأت السـتارة تفتح للمشـهد الثانـي الذي ارتبط بقضية التنظيمات الفلسـطينية علي كثرتها وسـوءِ الوضع الحالي خاصة في ظل الانقسـام الداخلـي ، احتدم الخلاف تدريجيـا بين الممثلين وهم الشـعب في البداية لتتصاعد وتيرة الخلاف بعد أن سـمعوا خبـرا بث علي إذاعة bbc مفاده أن قادة الفصائل الفلسـطينية قد قررت الاجتماع بالشعب وهنا عمت أجواءِ الفرحة في البداية ولكن سرعان ما انتهت بخلاف أحيك بشكل درامي عنوانه لخصه الفنان سعيد عيد بقوله " شعبنا كله روس زي روس البصل " وتشتد الخلافات بين الشعب علي عنوان للترحيب بالقادة ليصل العنوان الأخير والذي جاءِ من وحي اختلاف مشارب الشـعب التنظيميـة إلي أن يكتب علي يافطـة الترحيب " أهلا وسهلا بالفصائل الوطنية العربية الفلسطينية الإسلامية الدولية القومية الدينية الاشتراكية الليبرالية الديمقراطية البرجوازية الفلسطينية " عنوان مطول لخص حالة الصراع الفلسـطيني الداخلـي علـي أن الهـدف هـو فلسـطين ، الفنان شـويخ "لافي " رجع مجددا ليؤكـد حقيقة الفصائل الفلسـطينية وقد عالج ذلك من خلال حديثه عن سـهولة تكويـن تنظيم فلسـطيني قائـلا " القضية سـهلة يا جماعة كل اللـي تحتاجه هو اثنين بدي قارد مثلي وشـعار رنان القدس عاصمة أبدية ..وإلا فلسطين حرة عربية وما أكثر الشـعارات في بلدنا وبعدها بتصير كبير والصحافة تحكي عنك وبيدعوك اللي بيدعموا لحضور الحوار لأنك صرت تنظيم " هـذه الكلمات كانت قوية ومعبرة وقال أيضا أنه " كبارنـا حساسـين " و بأنشـودة موسـيقية حملت هدفا نبيلا في إيصـال معلومة الحب والوحـدة لدي المواطن الفلسطيني وشـارك في أدائها الفنانين جميعهم ليؤكدوا قوة المشهد وحضور الفكرة كانت أصوات الحضور تتعالي في الغناءِ مع الممثلين ..

وبعـد انتهاءِ المعزوفة الموسـيقية كانت أصوات مواكب القادة قـد وصلت المكان دخل القـادة ويحملون ملفات ملونـة بأعـلام التنظيمـات الأحمـر والأخضر والأسـود والأصفـر وبها كان ترحيـب بالفنانين كمال أبو ناصر "عن فتح " ورامز حسن "عن حماس " كتنظيمين بارزين ومعهم ممثلين عن الجبهة الشـعبية وحركة الجهاد الإسلامي وهنا دار حوار ساخن جدا وحاد إلي أبعد الحدود وصل بالفنان زهير البلبيسي ليقول بأن الانقسام تدخل في كل شي حتى "قمصـان النوم "وقال أيضا " انـه هناك قمصان نوم أحمر وأصفر وبقطعة وبقطعتين " إشارة لاختلاف وجهات النظر الكليـة بيـن التنظيمات المتخاصمة أما لافـي فقد جاءِت كلمته بقوله أن "الشعب دائما ملعوب فيه " وهذه الكلمات التـي جاءِت ردا علي حديث كمال أبو ناصر "عن فتح" بان هنـاك برامج قادمة في الحوار فقال له أنها برامج رياضة وألعاب وسـتكون دائما الشـعوب هي " الملعوب فيها أما "فـواز" صاحب القهوة فقـد أحضر للقادة قهـوة بأكواب ملونة بألـوان التنظيمات وهذا ما جعـل الاحتكاك يزداد ويثري المشهد قوة فحبال مربوطة بملفات القادة بألوان مختلفة ولباس مناسـب للفكرة وجلسـة وحديث بلهجة معينة مستوحاة من حديث الناطقين باسم الفصائل كانت مستثمرة بشكل مناسب ومجريات الحوار

اللي انكسر أكبر من انه يتصلح ..

بهـذه الكلمات التـي كانت قريبـة علي قلـوب الحضور ومسـتقبل الشـعب الفلسـطيني والتي جـاءِت من خلال الفنان سـعيد عيد " أبـو الخير " ليؤكد مـن خلال حديثه مع الشـاب المثقف و"أبو خالد" كاظم الغف بأن الوضع جد مأسـاوي ويحتاج الكثيـر .. أما أصابع الاتهـام فبدأت كما وأن الشـعب فعلا يحاسـب القادة وهم جالسون أمامهم فكل من الممثلين الذي قاموا بالأدوار وهم الشعب بدئوا بحـدة ونقـد لاذع يتحدثون مع القـادة عن موضوعات مختلفـة أبرزها أم زكي والتي تحدثت عن ابنها الشـهيد التـي لا تقبل بـكل أمـوال الدنيا مهمـا اختلفـت وكثـرت علي أن تسـتبدل ابنهـا بمال..وقد اسـتنكرت علـي الفصائـل ما قالوه بأنهم يدعمون الشهداءِ وأنهـم يحملون قضيتهم وقال الفنان سـعيد عيد " أبو الخير " .. " شـو الشيءِ اللي كل ما زاد فيه العمر بيكبر ..إلا عندنا كل مازاد فيه العمر بيصغر وقرب ينتهي ..." متحدثا عن فلسطين وقضيتهـا العادلة التـي بدأت تنهـار رغم أنها أعـدل قضية إنسانية علي وجه الأرض ومن ثم بدأ الممثلون بالحديث عن الكهربـاءِ والغاز والبابور وإعادة الأعمار والبطالة والأحلام التـي يحلمون بها من مطـار وميناءِ وحـدود .. ومن ثم الانتقال بشكل ساخر للقول بان "العالم كله عنده حكومة .. وإحنا حكومتين ، الناس بتلفزيون واحد وإحنا بتلفزيونين ،الناس بوزير اقتصاد واحد وإحنا بوزرين ... وولكو الناس بوزير تعليم واحـد وإحنا بوزيرين والجيل صايع ... الناس بوزير صحة وتموين وداخلية واحد وإحنا باثنين .." وطبعا كان مرافـق مـع حديث الممثلين أصـوات آهات معبرة للمنشـد وائـل اليازجي أثـرت في الحضـور مما دعاهم للتصفيق بحرارة مرات مختلفة .

مرايا الوطن .. وثورة علي الظلام

بعد أن تشـبع الحضـور بالفكـرة ووصلـت الرواية إلي الهدف بدأ الحديث عن التمويل الخارجي للتنظيمات وما قصد به الحيل السري من خلال إمداده لروح التنظيمات وإنعاشها وربطها بالسياسات الخارجية وضع الممثلون مثلا بسيطا هو أن الشـعب يري بمرآة والقادة يرون بمرآة أخري وحديث القادة كان مرافقا لسـير الفكرة من خلال أن القادة يرون مصلحة الشعب وهم يحددون المستقبل ويختم الفنانين الذين مثلوا الشـعب كلماتهم بالقول علي لسان" أبو الخير " ..

"ربنـا راح يحاسـبكم إذا مـا حررتـم فلسـطين بس راح يحاسـبكم أكثر علـي الكذب والخداع والغـدر وأكل مال الأيتام والظلم ما بيدوم .." ..

ومن ثـم يقوم الشـعب بمشـهد درامي رائـع من خلال الوصول الـي القادة وسـحب الحبال الموصولـة بهم مع الخـارج ويطردوهم مع الحديث والصـراخ عليهم بعدم العـودة .. حلـم طالما حلم به الجميـع وأمل في أن تكون الأحبال السرية هي حبل واحد من قلب واحد ومن شعب واحد ..هو الشعب الفلسطيني ..

واختتمت المسرحية بمشاهد اسـتعراضية جميلة قدمها مجموعة من الأطفال تبعـت الفكرة وأكملتها بحيث كان لباس الأطفال وأزيائهم من وحي ألوان ورايات التنظيمات الفلسـطينية ومن ثم ترسـم العلم لتخرج المسرحية إلي النور.. وتكسر الجمود وتواجه الواقع المرير بطريقتها .

متل ما بحكي معك..

يكتبها: علاء أبو دياب

كنغر بخزانة المطبخ

اعزائـي القراءِ ولو اني ما بعرف حدا فيكم بس كيف قرأت بحياتي لازم ابدا باعزائي القراءِ.. المهم يا اعزائي القراءِ انا شـخص بسـمع موسيقى وبقرأله اكم كتاب بالسنة وبالتالي شوية ناس بتعدني بفهم وكان وضعي تمام وعال العال لحد ما اجا يوم الامتحان!!

يوم الامتحان كان عند سـماعي اغنية للغالية علينا كلنا واللي تربينا على صوتها العظيمـه كاميليا حبران.. وفوجئت ويالها مـن مفاجأه انو هنالك فيل في حسـاءِ كميليا!!! حدا قادر يتصور المأساه؟! انو شعره بالطنجره ممكن تسـكَر مطعم فما بالك بفيل في صحن شوربه!! انا للوهلة الاولى فكرتها دعايه لماجي!! رجعت شفت غلاف السي دي مزبوط كميليا حبران (وميـض) ، قلت اسـمعها كمان مـره يعني يمكن أنـا متخربط !! ممكن قصدها دلفينه في البانيو؟! او مثلا وحيد قرن بالصالة! يعني بالكتير كنغر بخزانة المطبخ! أما فيل في حسائي شوي صعبه!!

هون لازم اشـرحلكم نظرية (فاهم علي) عشـان تفهموا انا وين موجود حاليا!!

نظريـة فاهم علي قائمة على ثقتنـا بفن وثقافة وتاريخ المتحدث وعلى غشمنة وقلة صراحة اللي قباله .. يعني بكون في انسان خلينا نسمي(س) معـروف بفهمه وثقافته وفنـه وبكون في (ص) اللي كمان مش اقل من (س) فهم ، وبكون بالقعدة كمان شـي عشر بني ادمين بثقو في هدول الجوز .. فبقوم (س) بقول فكره ابصر من وين طلعت براسه، انو حتى هو مش فاهمها، وأول ما يخلص فكرته وكل القاعدين –فاغرين أفواههم- بطّلـع علـى(ص) وبقولو طبعا انت فاهم علـي!!؟؟ هلأ هون (ص) بكون مش فاهم اشي بس موقفه صعب .. كيف بدو يقول لا مش فاهم، و(س) كلـو ثقة انو فاهم ووجهلـه الحكي من دون الجميـع يعني موضوع ثقة صفّـت!! والناس كلها بتطلـع عليه انو تخذلناش يـا (ص).. بالتالي(ص) مضطر يقوله: اه طبعا فاهم عليك وعالاكيد مع ابتسامة عريضة.

هـون كل حدا قاعد معهم بدو يضطر مش بس يعمل حاله فاهم لا بل بـدو كمان يُعجب بالفكـرة ، ماهو (س) اللي حكـى و (ص) اللي فهم !!! وهـاد اللي صار لما نزلت هاي الاغنيـة !! لانها كميليا جبران غنتها فأكيد فيها اشي مميز وبالتالي في اكم حدا من الرواد او (الصادات) على طول قالوا اه طبعا فاهمين عليكي .. واضطر جموع المسـتمعين امثالي يعملو حالهم مش بس فاهمين بل ومعجبين بالعمل..

انا يا جماعة زلمة مش فاهم وما بسـتحي اقـول مش فاهم عليك!! وانا بعرف انو الكتابـة هي الوعي واي محاولة لاننا نعمل كتابة عبثية او مش واعية - مع احترامي الشـديد للمخرجة صاحبة كلمات الاغنيه (أ.سوسن دروزة)- رح يحكمها وعينا .. يعني بنفع امسك الوان واخربش على لوحة بيضـا بدون منطق بس انو اكتب بدون منطق.. هاي بدها وعي ومنطق اكتر من اي نص تاني!!

وبالتالي يا اعزائي القراءِ خُذلوا أصدقائي مني وتفاجؤو واعتبروها طعنة في ضهر الفن الفلسـطيني المعاصر والحداثة لمَّـا انا قلت مش فاهم !!! وطلعولي بحجج زي مش لازم كل شي يكون مفهوم!! اي مش بكفي كل اللـي بصير بالبلد مش مفهوم!! كمان الاغانـي.. يعني انا متحمل ما افهم ليش عنا وزيرين سـياحة واحد بغزه وواحد بـرام الله مع انو احنا ثوره وما عمره كان في وزير سـياحة لاي ثورة بالعالم !! قول هاي بتصير، ما احنا كل شـي عنا غيـر بس اللي بطّلع الواحد عن دينـه انو في وزيرين سـياحة وفش سـواح!! عاللأقل يجيبولهم سـايح لكل وزير، خلّي يلاقيلو شغلة يشتغل فيها!!!

بالنهاية هاي وجهة نظر وحدة ما بتقلل من قيمة العمل ويمكن جماليتو تكمن في أنو مش مفهوم للبعض ألي منهم أنا !

الرائعة كميليا جبران نحبك لانك كميليا ولانك ودك تغني لنسمة الحرية ولانـو نيرون مات ولـم تمت روما وكمان لإنو في فيل في حسـائك .. فاهمه علي؟؟!!

ملاحظتين:

أولا: هدا مش نقد فني !!

تانيا: وهو الاهم كميليا جبران ما ألها اي علاقة بموضوع وزيرين السياحة وحتى يمكن لو عرفت انو عنَا وزيرين سياحة تنزِل الفيل عليهم تجيب اجلهم الجوز.

نيو ستار العرب والركعة بخمسين..

سهيل كيوان

كان أول من أحضر مكبر صوت الى القرية واستخدمه كمصدر لمعيشته، في البداية اقتصر استعماله على الأفراح، كان يثبته على دراجة هوائية ذات عجلات ثلاث ويمضي مع صف السحجة ملاحقاً الحدّاءين بالأسلاك التي تصل بينهما وبين مكبر الصوت، الحادي يكرمه ويخصه بالتحية منذ بداية المشوار ثم يطالبه (حداءِ) بضبط الصوت إذا ما تعرض الجهاز لوعكة صوتية صعوداً وهبوطاً أو سرسكة وحتى سكوتاً!

تغيرت طريقة الاحتفاءِ بالعرسان واختفت طوفة العريس التي تستوجب طاقات بشرية كبيرة وتعطيل أعمال ووقتاً يبدو أنه صار عزيزاً لدى من كانوا في يوم ما أغنى أغنيائه! صاروا يتباخلون بالفرح،

وبعدما كان يستغرق أسبوعاً من التعاليل والسّحجات والدبكات اختصر إلى سهرة وزفة في ساحة الحي، أو في ساحة المدرسة مقابل تبرع مالي للمديرة الحديدية، أو في الشارع العام بعد إغلاقه من الجهتين!

وتلبية للحاجة أضاف أبو حسام إلى مكبر الصوت كراسي وطاولات وثلاجة كبيرة على عجلات لجرها ومسرحاً ليُصمد عليه العروسان، واستبدل الدراجة الهوائية بسيارة (تندر)، وصارت الدعوة الى العرس بمكبر الصوت بعدما كانت شخصياً وبيتاً بيتاً....

- يا أهالي قريتنا الكرام باسم فلان الفلاني أبو فلان ندعوكم الى زفة العريس والسهرة والمولد النبوي الشريف وتناول طعام الغداءِ بعد المولد مباشرة! ولكن ليس هذا فقط...

- تعلن محلات اليرموك للألبسة عن حملة تنزيلات غير مسبوقة..إدفع ثمن بنطلون جينس واحد وخذ الثاني ببلاش...يا بلاش!

- إسمعوا مليح....في ملحمة الأمانة..كيلو لحم العجل بخمسة وثلاثين وبس...إلحق حالك يا أبو العيال....يا بلاش...

- المركز الجماهيري يدعوكم لتسجيل أبنائكم للدورات التالية...لغات....رياضيات... صحافة...كمبيوتر...تطريز...طبخ للشباب والبنات.....دبكة....يلا بلاش كسل....

- بسم الله الرحمن الرحيم...يا أهالي قريتنا الكرام نعلمكم عن افتتاح المخبز الجديد في الحارة الشرقية تحت دار أبو معيوف...خبز أرغفة عادي...خبز صاج...مناقيش بزعتر وجبنة وبصل...تشكيلة من المعجنات...ربطة الخبز بستة شيكل يا بلاش.....

- قسم الجباية في المجلس المحلي يدعوكم لتسديد ضريبة الأملاك وأثمان المياه حتى نهاية الشهر الجاري وذلك قبل اتخاذ الإجراءِات القانونية والحاضر يعلم الغايب....وقد أعذر من أنذر...(يا جماعة أنا ما دخلني...هذا رئيس المجلس)...

- يا أهالي قريتنا الكرام باسم الحزب الـ..... ندعوكم لحضور الاجتماع الانتخابي الشعبي الكبير الذي سيتحدث فيه (النائب.. الشيخ...الرفيق..الأستاذ... الدكتور الخ)...هلمّوا بجماهيركم!

كبرت البلدة ونشأ له منافسان شابان في المهنة فهو لم يعد قادراً لوحده على سد حاجات البلدة!

في الأتراح يتبرع أصحاب هذه المهنة بالكراسي لأهل الفقيد ولمن يدعونهم إلى وجبة الطعام بعد الدفن مباشرة، وذلك لكسب الحسنات، وهذا وعد ضمني باستئجار هذا العتاد في موسم الأفراح!

تذكرني ألوان آذار (مارس) وروائحه بيوم الأرض الأول وبمكبر صوت أبي حسام البدائي ذي الأسلاك! كانت الأجواءِ عشية هذا اليوم إرهابية فرضها رجال المخابرات وعملاؤهم، فهي أول مرة يعلن فيها العرب إضراباً عاماً لحماية الأرض! تجمع الشبان في ساحة العين! وبعد مشادات كلامية وتهديدات وتوترات بينهم وبين رجال المخابرات وبعض العملاءِ، انطلقت مسيرة غاضبة كانت الأولى من نوعها وحجمها في البلدة منذ عام النكبة، يتوسطها

مكبر الصوت البدائي المثبت على الدراجه الهوائية....

نادى المنادي في الجليل
أرض العروبة للعرب
جليلنا ومالك مثيل
وترابك أغلى من الذهب
ما نرضى بالعيش الذليل
لو صرنا لجهنم حطب

حتى وصلت المسيرة بيت رئيس المجلس البلدي، دخل باحة منزله وفد من عشرات الشبان والشابات والأطفال والنساءِ والرجال الغاضبين وسلموه عريضة الاحتجاج على موقفه المناوئ لرغبة الجماهير! ثم مضت المسيرة الى شارع عكا ـ صفد الرئيس لتغلقه، بعد أيام دعي عدد من الشبان للتحقيق لدى المخابرات ومنهم أبو حسام!

- لماذا جعلت هؤلاءِ الزعران يستخدمون مكبر الصوت خاصتك؟..

- إنها مهنتي...

- لا تتغابَ...لقد حرضوا على التمرد والعصيان ضد الدولة...وهذه تهمة خطيرة!

- يا سيدي..من يدفع لي أجرة مكبر الصوت أمنحه له...ولا شأن لي بماذا يستعمله...!

ـ ولكنهم هتفوا ضد دولة اسرائيل....

ـ هات لي أجرة مكبر الصوت...وخذه واهتف ضد جامعة الدول العربية من الآن حتى الغد!

ـ طيب انقلع من هنا....!

- ها أنا قد انقلعت...

رغم تجاوزه الثالثة والسبعين ما زال صوته وطريقته بتقديم بضاعته تجذب انتباه المستمعين....

قبل أيام كنت واقفاً أمام بيتي، مر بسيارته مبطئاً وألقى التحية من خلال مكبر الصوت...ثم نفخ منبهاً..وبدأ ينادي...يا أهالي قريتنا الكرام...ندعوكم للتصويت لابن قريتنا البار (.....) في برنامج (نيوستار العرب) على فضائية (مِكس)...طريقة التصويت بواسطة الهاتف وهي كالتالي...إسمعوا مليح... اتصلوا على رقم نجمة سبعة سبعة ثلاث واكتبوا كلمة ستار....ثم اضغطوا على الرقم (سُطّعش)...شجعوا ابن قريتكم.. وكان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.....ثم التفت مبتسماً من نافذة السيارة باتجاهي ومضى....

لم تمض ساعتان حتى عاد مرة أخرى لينادي بصوت أكثر جدية ورزانة...بسم الله الرحمن الرحيم...يا أهالي قريتنا الكرام ندعوكم للسفر إلى القدس الشريف للصلاة، أولى القبلتين وثالث الحرمين يناديكم....السفر مجاني على نفقة فاعلي الخير...تنطلق الحافلات من ساحة العين بعد صلاة الفجر....ولا تنسوا أنكم الرابحون...فالركعة هناك بخمسين ركعة.... تقبل الله....

عن القدس العربي

وبدأ ينادي...يا أهالي قريتنا الكرام...ندعوكم للتصويت لابن قريتنا البار (.....) في برنامج (نيوستار العرب) على فضائية (مِكس)...طريقة التصويت بواسطة الهاتف وهي كالتالي..

رسالة مفتوحة إلى مسؤولي الثقافة الفلسطينيين

راسم المدهون

صدور مجلة ثقافية في فلسطين خبر مفرح بالضرورة

ذلك ما أحسست به عند قراءِتي خبر صدور العدد صفر من مجلّة "أوراق" الثقافية الفصليّة عن "دائرة الثقافة والإعلام" في منظمة التحرير الفلسطينية ووزارة الثقافة في السلطة الفلسطينية ، لما يحمل الخبر من مساحة تفاعل جديدة للمبدعين الفلسطينيين وهم يواجهون أشكالا مختلفة من التضييق والحصار

مع ذلك توقفت طويلا أمام "هيئة التحرير" التي أنيطت بأفرادها مسئولية الإشراف على المجلّة لسبب بسيط لا يتعلّق بنيّة رفض هذا الاسم أو ذاك ، ولكن ببساطة بسبب ما يكرّسه اختيار البعض من "تقاليد" ثقافية ووظيفية تجعل الحياة الثقافية الفلسطينية في شقّها الرّسمي حكرا على أسماءِ محدّدة لا تكاد تتغيّر إلا نادرا

فأن تعين الكاتبة ليانة بدر مديرة لتحرير المجلّة الجديدة أمر يثير دهشتي وهي المدير العام لمؤسّسة السينما التابعة لوزارة الثقافة الفلسطينية أيضا ، ما يدفع للتساؤل هنا بجديّة كاملة : أين ذهب الآخرون ؟

والآخرون الذين أعنيهم هم مجموع الشعراءِ والكتاب والمثقفين عموما ممّن يعيشون في فلسطين وخارجها على حد سواءِ ، خصوصا وأننا جميعا نعرف أن مسألة الجغرافيا لم تعد مشكلة أو عائقا أمام الصّحافة في وجود وسائل الإتّصال الحديثة وبالذّات شبكة الإنترنت ، ما يجعلني أتساءِل أيضا : هل الثقافة شأن لموظّفي السّلطة الفلسطينية دون غيرهم ؟

السّؤال يعيدنا من جديد وبقوّة إلى الحالة الثقافية التي تعيشها فلسطين ، والتي يمكن القول باختصار أن إبداعاتها الأجمل والأهم قد تحقّقت في صور فردية تماما فالأشرطة السينمائية الناجحة والتي حقّقت حضورا لافتا في العالم تحقّقت بجهود أصحابها ودون أي عون من "مؤسّسة السينما" ، والحال بالطبع ينطبق على بقيّة الفنون والأجناس الأدبية

الحال التي يعيشها المثقفون الفلسطينيون باتت ومنذ زمن طويل تحتاج وقفة جديّة مسئولة :

ما العلاقة التي تربط المبدعين الفلسطينيين فعليا بمؤسساتهم ؟

ومن المسئول عن حياة هؤلاءِ المثقفين وأمنهم المعيشي في وطنهم ومنافيهم على السّواءِ ؟

قبل أعوام قليلة كنت أحد من قاموا باستقبال الكاتب الصّديق يحيى يخلف على الحدود السّورية الأردنية وهو في طريقه إلى معرض الكتاب العالمي في مدينة فرانكفورت الألمانية في تلك الجلسة القصيرة وبحضور الكاتب الصّديق عمر حلمي الغول بادرني يحيى بالحديث عن ما اعتبره هو ظلما لحق بي ، قبل أن يضيف لذلك تبريرا يقول أن "الظروف الفلسطينية صعبة جدا"

يومها لم أعلّق لسببين الأول أنني لم أطالب الصّديق يخلف بشيءِ ، أما الثاني فهو لاجدوى الحوار الذي أوصله هو إلى طريق مسدود مختصره أنه لا يستطيع فعل شيءِ مع العلم أنه كان وقتها وزيرا للثقافة وعلى رأس عمله ، بل إنه حين ترك الوزارة في أعقاب الانتخابات التشريعية الأخيرة أصبح مسئولا عن الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية ، أي تسلّم المنصب الأعلى والمنوط به الإشراف على وزارة الثقافة ووزيرها ، ناهيك عن أنه قام في الفترة ذاتها بإصدار قرارات تعيين لكتاب ومثقفين فلسطينيين يعيشون في الشّتات كانوا في الغالب من الذين ليسوا بحاجة مطلقا لتلك الوظائف

هي مرّة أخرى حال الثقافة الفلسطينية الرّسمية وشجونها التي لا تحصى

بعد يحيى يخلف زارت دمشق وزيرة الثقافة السّابقة الدكتورة تهاني أبو دقّة وعرفت بزيارتها بعد شهر من انتهائها إذ هي قامت بالاتصال بعدد محدود من الكتاب الذين أخمّن أنها حملت أسماءِهم معها من رام الله ، وهو أمر تكرّر أيضا وفي صورة فاقعة عند تشكيل اللّجان الخاصّة باحتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية ، وكلّها تمّت في صورة "سرّية" تبعث على الشّك ، وتفوح منها رائحة الإقصاءِ والاستبعاد واحتكار العمل والوظائف

أقول ذلك وفي البال مواقف أخذتها "على حسابي الخاص" حين كنت أرى مثقفا فلسطينيا يتعرّض لشبهة اضطهاد من هذا المسئول السياسي أو ذاك كما فعلت يوم أبعد الرئيس الرّاحل أبو عمار يحيى يخلف عن موقعه كمدير عام لدائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية يومها – وكنت محرّرا ثقافية لأسبوعية الأفق في قبرص – كتبت افتتاحية العدد عن ذلك ، وأتذكّر أن الصّديق يحيى يخلف قد بعث لي برسالة لا أزال أحتفظ بها في أرشيفي إلى اليوم رسالة مفعمة بالتحيّة والشكر على تلك الوقفة التي اعتبرتها ولا أزال موقفا مبدئيا تفرضه تقاليد المهنة بل والشّرف الشّخصي

مع ذلك كلّه انتظرت عشرين عاما إلا قليلا دون أن أجد في السّاحة الفلسطينية كلّها من يسأل عني ، أو كيف أعيش ، وكأنني أمضيت شبابي سائحا وليس في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية مجرّد تداعيات وردت إلى الذّهن مع خبر مجلّة أوراق في عددها صفر الذي صدر أخيرا والذي باستعراض مقالاته وهي المكرّسة للشاعر الرّاحل محمود درويش لم أجد بينها شيئا ممّا كتبت ونشرت في الصّحف والمجلاّت وآخرها الدراسة التي نشرتها في مجلّة "نزوى" العمانية

أي ثقافة تديرون أيها الأصدقاءِ

السّؤال يعيدنا من جديد وبقوّة إلى الحالة الثقافية التي تعيشها فلسطين ، والتي يمكن القول باختصار أن إبداعاتها الأجمل والأهم قد تحقّقت في صور فردية تماما

مقالان لفاروق وادي..

قالَ اِنْكَتِم.. فانْكَتَمْت!

إذا صحّت الأنباء التي تحدّثت عن استجابة فلسطينيّة للضغوط الإسرائيليّة - الأميركيّة التي مورست لإلغاء حفل إشهار ميدان يحمل اسم الشهيدة "دلال المغربي" في رام الله، والتراجع عن فكرة إطلاق اسم دلال من حيث الأساس على أيّة رقعة من أرض فلسطين، نكون قد سلّمنا للعدو آخر بيارقنا، ومعها ذاكرة بنادقنا، وأسماءٍ من سيستشهدون من أبنائنا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا، وأعلنّا على الملأ، وعلى رؤوس الأشهاد، تخلينا المطلق عن رفات شهداءٍ قاوموا بالرصاص، وسقطوا برصاص الأعداءٍ، وتنازُلِنا النهائي عن تراب وطن سُلب بالقوّة.

"قال انكَتِم.. فانْكَتَمت"..

هكذا ردّد "سعيد أبي النحس المتشائل" في "الوقائع الغريبة".

أهكذا فعلنا، إذا ما صحّت الرواية. قالت لنا إسرائيل انكتموا.. فانكتمنا؟!.

غداً، ستطلب إسرائيل إنزال صور ياسر عرفات، بزيِّه العسكري، عن حيطان البيوت، وجدران المدن.. عن ذاكرة العين وحديث اللسان وزوايا القلب. فالرجل شكّل الرمز التاريخيّ الفلسطيني لإطلاق الرصاصة الأولى (١٩٦٥)، وقاد شعبه في كلّ المعارك التي تقتضيها حرب التحرير الشعبيّة، وخاض كلّ أشكال النضال، وفي مقدمتها.. "الكفاح المسلّح"!.

üüüü

سينقلب الواقعيون المعاصرون على ظهورهم لشدّة الضّحك، ونحن نستعيد التعبير الأخير بمفردتيه اللتين باتتا غريبتين. فالواقعيون السياسيون يرددون أنهم لا يعتذرون لأحد عن دعم المقاومة، مضيفين للدقّة: الشعبيّة.. السلميّة!

نُدرك أن السياسيين يتعاملون، في عملهم اليوميّ، مع فنّ الممكن. نتفهم ذلك ونختلف معهم بلغة من حقها أن تمارس النقد والاختلاف. ونُدرك أن المحلل السياسيّ هو الذي يقرأ الواقع الملموس ويقترح شكل النضال الملائم للمرحلة. أمّا المثقف، فهو يتعامل مع المبادئ، والقيم، و ا لا ستر ا تيجيّ . والمبدأ الأساس يقول: إن مقارعة المُحتل، المُدجج بالسلاح، تتمّ بكلّ أشكال النضال السياسي والعسكري والجماهيري والعلمي والثقافي.. وغيرها، وإن الكفاح المسلّح هو الشكل الأرقى للنضال الوطني ضدّ عدوّ غاصب.

ستقول لي صديقتي القديمة "ليانة بدر" إنني دقّة قديمة، لم أتمكن من فهم متغيرات العصر وتحديث لغتي وقناعاتي التي تعلمناها معاً على مقعدٍ واحد، وهي التي أراها تُسهم في تحديث محمود درويش ("الأيّام" - ٣/١٠)، ليغدو وكأنه غاندي الشّاعر، الذي سيبدي إعجابه، من مكانه الأخير، بتقدُّم النضال ضد الجدار وسرقة الأرض، بابتكار "أشكال جديدة من المقاومة اللاعنفية"!.

كأنما ليس هو محمود درويش نفسه الذي قال شعراً، إنه إذا ما جاع ورآهم يسطون على أرضه، يأكل لحم مغتصبيه. كأنه لم يستلّ من تينة الصدر غُصناً وينسفُ دبّابةَ الفاتحين. كأنه لم يكتب عن أحمد العربيّ الرصاص البرتقال، ابن المخيم الذي ينمو لينجب زعتراً ومقاتلين (لم يوضِّح أنهم لا عنفيين!).

إنه الاتجاه الثقافي اللاعنفي نفسه، الذي ذهب بجائزة محمود درويش، في أولى دوراتها، إلى كاتبة عربيّة لم ننس أنها زارت رام الله بتكليف من إحدى الصحف البريطانيّة بعد وقت قليل من انطلاقة الانتفاضة الثانية، وأنها بالمناسبة، قامت بزيارة لمستوطنة "بساغوت" القائمة على أرض جبل الطويل في البيرة، والتي ظلّت تتولى مهمّة قصف المدينة بنيران الصواريخ الجهنمية (لم تكن بالتأكيد لا عنفيّة)، والتقت أحد كبار المستوطنين هناك، الذي قدّمته بكلمات لا تخلو من الإعجاب، مشيدة بأسلوبه الخفيض في الحديث.. وبذوقه الحضاري الرفيع!؟.

> كأنما ليس هو محمود درويش نفسه الذي قال شعراً، إنه إذا ما جاع ورآهم يسطون على أرضه، يأكل لحم مغتصبيه.

في عهد المقاومة اللاعنفيّة.. المقاومة الشعبية السلمية، في مواجهة الوحشيّة والاحتلال، لن نستطيع، للأسف، سوى أن نكون "دقّة قديمة"، ونعيد التأكيد على أرقى أشكال النضال.

üüüü

من يهن يسهل الهوان عليه، ويسهل على الآخر إهانته. المسؤولون الإسرائيليون قالوا للمتشائل: انكتِم.. فانكتَم!

أمّا "ولاء"، ابنه الوحيد من زوجته "باقية" (الذي نقّب "تيدي كاتس"، تلميذ "إيلان بابيه" عن المجزرة الرهيبة التي ارتكبها الإرهابيون الصهاينة في قريتها الطنطورة)، فقد انتشل من كهف في صخرة أسفل سطح البحر هناك، صندوقاً خبئ طويلاً يحتوي على ما هو أغلى من الذهب: السلاح!.

عندما حمل "ولاء" رشّاشه وتشبّث به، رفض أن يكون الولاء والاحتراس قدره. نسمعه وهو يصيح في وجه والده، إنه جاء إلى هذا الكهف ليتنفس بحريّة.

وهو، منذ أن امتشق سلاحه، ما زال يتنفّس حريّته، تحت الماء.. دون أن يغرق!.

النضال والخيانة في طروحات ليانة

دون تحية أو سلام، تشنّ ليانة بدر رسالتها المتوتّرة، رداً على مقالتي الأسبوع الماضي بعنوان "قال انكتم .. فانكتمت" (الأيام ٢٠١٠/٣/١٩). وقد آثرتْ الكاتبة عبرها، أن تنأى عن المناقشة العلنيّة التي تلتزم الحوار الهادئ ويكون القارئ هو الحَكَم فيها والفيصل، واختارت عوضاً عن ذلك أسلوب الردّ الثنائيّ، حتّى تأخذ الكاتبة راحتها في تزوير الكلام، والمزاودة عليّ بنضالها الوطني السلمي اللاعنفي، حتّى أنها لا تتردّد بالزعم أنني كتبتُ عنها بطريقة "لا تحمل شيئاً من احترام آراءِ الأصدقاءِ". ولأن حبر مقالتي لم يجف بعد، فإنني أدعو من يشاءِ لإعادة قراءتها، مُعترفاً بخلافي مع قراءة ليانة اللاعنفيّة لمحمود درويش، ومتجاوزاً إسفافها في تحليل خلافي مع تلك القراءة بأنه، وفق تعبيرها.. "لتُظهر ثوريتك المفترضة" (على اعتبار أن ثوريتها خالصة مُخلّصة، وليست مُفترضة!). ولكن يبدو أن مثل هذا الخلاف الثقافي ـ السياسي، يُفسد، لدى النزقين الذين لا يتحملون كلمة نقد واحدة، للودّ ألف قضيّة!

من الكلمات الأولى لرسالة ليانة، يبدأ التزوير: "أنت حرّ إن كنت لا تؤمن بالمقاومة الشعبيّة اللاعنفيّة، وأنت حرّ إن لم تشارك في مسيراتهم" (تقصد مسيراتها). وهنا، أحيل القارئ إلى مقالتي التي لم يلفها النسيان بعد، للتثبُّت من هذا التزوير المفضوح، والتي أكّدتُ فيها أنني، وفي ظلّ وجود احتلال غاشم، أؤمن بـ "كلّ أشكال النضال وفي وقدمتها الكفاح المسلح"، ثمّ كرّرتُ القول أن المبدأ الأساس في النضال يقول: "إن مقارعة المُحتل، المُدجج بالسلاح، تتمّ بكلّ أشكال النضال السياسي والعسكري والجماهيري والعلمي والثقافي.. وغيرها، وإن الكفاح المسلّح هو الشكل الأرقى للنضال الوطني ضدّ عدوّ غاصب".

أعتقد أن القول بكلّ أشكال النضال، ومنها الجماهيري ـ الشعبي، لا ينطوي على التنكُّر لشكل النضال الذي يُخاض في بلعين ونعلين وغيرهما من بؤر النضال اليومي. فمن أين جاءت ليانة بتهمة عدم الإيمان بالمقاومة الشعبيّة. أما عدم مشاركتي في "مسيراتهم"، فليانة تعرف أنني أقيم بعيداً عن مكاني الأوّل.. رام الله، لأسباب ليس هنا مجال شرحها، ولكنني سأعتبر جملتها تلك هي الجرعة الأولى في مزاودتها على الأرض والسماءِ بنضالها اللاعنفي، وهي المزاودة التي تتصاعد، في آخر الرسالة، باتهامها الأهوج أنني أقيم في "أبراج عاجيّة"، لنسمعها تقول: "وكلّ ما أتمناه أن تأتي لتشاهد التجربة وأن تترك أبراجك العاجيّة كيّ تراها عن قرب".

> إذاً، فكل فلسطيني في المنفى هو خائن، يُقيم في برج عاجيّ، يستحق أن تحمل ليانة معولها وتهدمه على من فيه، لأنه لا يشاركها نضالها اللاعنفي!

إذاً، فكل فلسطيني في المنفى هو خائن، يُقيم في برج عاجيّ، يستحق أن تحمل ليانة معولها وتهدمه على من فيه، لأنه لا يشاركها نضالها اللاعنفي!

أعيد التأكيد، رغم اعتقادي بأن كلامي لم يكن فيه شيءٍ من اللّبس (ولكنني أؤمن أن التكرار يُعلِّم في النهاية)، على أنني أثمِّن عالياً النضال الشعبي بكلّ أشكاله، وإن أختلفُ في تسميته باللاعنفيّ. فعنف الأعداءِ، الذي يتصاعد يوماً بعد يوم، في نعلين وبلعين وكلّ مكان على الأرض الفلسطينيّة، يقتضي عنفاً مقابلاً يعرف كيف يُجدِّد أشكاله. كما أنني أختلف مع الاتجاه اللاعنفي بما هو أكثر من ذلك، وهو تشديد أصحابه على أنه (الشكل الوحيد) للنضال الفلسطيني، الأمر يؤكده قفز ليانة عن المسألة الجوهريّة لمقالتي، بما يوحي بموافقتها الضمنيّة على ما حدث: التنكُّر للشهيدة دلال المغربي وللشكل الأرقى، الاستراتيجي، لمقاومة المحتل، وهو الكفاح المُسلّح.

ويبلغ تصعيد المزايدة المثيرة للرثاءِ إلى حدّ أن تصرخ ليانة في وجهي، وكأنني أحول دون قيامها بالمهمات النضاليّة اللاعنفيّة: "أما أنا فاتركني مع أهل بلعين ونعلين والنبي صالح ودير نظام. فمن عملهم الجماعي سوف تُشرق شمس فلسطين الجديدة". والحقيقة أنني أحترم إيمان ليانة بشروق شمس فلسطين الجديدة من هناك، ولكنني لا أتفق معها في أن هذا الطريق هو الوحيد، الذي استبدل به اللاعنفيون كلّ الطرق الأخرى لشروق الشمس.

هل من حقّ ليانة، (التي لم تعجبها مخاطبتي لها بـ "صديقتي القديمة"، رغم أن عُمر رفقتنا تجاوزت الآن الأربعين عاماً)، وبعد هذا الفيض المريع من المزاودة التي دلقتها في وجهي، أن تتهمني بأنني أزايد عليها، أو حسب تعبيرها، أقوم بعمليّة.. "تنفيس عن المرارة في وجوه من تسميهم (الأصدقاءِ)، فأي صداقة هذه التي تتيح لك أن تزاود بها على غيرك؟".

لا أدري عن أيّة مرارة تتحدّث ليانة. ولكنني سأفترض حُسن النيّة، وأقول إن مقالتي انطوت على مرارة يمكن أن يكون عنوانها "الارتداد". إرتدادنا عن تقديس العنف الثوري، إلى تقديس اللاعنف. إرتدادنا عن احترام المقاتل إلى التغزُّل بالبيروقراطي. إرتدادنا عن تخليد الشهداءِ إلى دفعهم نحو دوائر النسيان. وارتداد البعض منّا عن مبادئ الثورة وأفكارها العظمى إلى تبني مبادرات التنازل تلو التنازل.

لقد أرادت ليانة أن تحرف خطابي هذا إلى الحديث عن جائزة محمود درويش. والحقيقة إنني لم أخض تفصيلاً في هذه القضيّة، لأنني لا أملك حيثياتها، وإن كانت لديّ عديد من الأسئلة: ما هي الأسس والمعايير التي اعتمدها القائمون على الجائزة؟ كيف يجري الترشيح؟ وعلى أيّ أسس تمّ الاختيار؟ وماذا قالت لجنة التحكيم لتبرير اختيار من اختارتهم؟ كلّ هذه الأسئلة لم أطرحها، لأنني لم أكن أرغب في الكتابة عن الجائزة، ولا أن أدخل في أحقيّة أو عدم أحقيّة من نالها أو نالتها. فقد أشرت إلى أن الاتجاه اللاعنفي الذي يهيمن على المواقع المؤثّرة في حياتنا السياسيّة والثقافيّة، شاءِ أن يدفع لاختيار كاتبة زارت مستوطنة "بسغوت" وكالت المديح لأحد كبار المستوطنين فيها، واسمه بالمناسبة "حاييم بلوخ".. الذي وقف ينتظرها "بكل ذوق" خارج بيته.. "له ذقن طويلة كستنائيّة ويتحدّث بأناة وحرص وصوت منخفض". ثم تُسهب الكاتبة في بسط آرائه "الحريصة" على الاحتلال والاستيطان (جريدة "الحياة" اللندنيّة ١٢/٢٢/ ٢٠٠٠). ذلك دون التقليل من أهميّة مبادرتها تنظيم مهرجان أدب فلسطين بعد ذلك بسنوات.

لم أقرأ رواية أهداف سويف التي اقترحتها عليّ ليانة "خارطة الحبّ"، لأنني لم أتردد على لندن، للأسف، حيث صدرت، لأحصل على نسختي من هناك. ثمّ إنني مثلي مثل زملاءِ ليانة من الشبّان الفلسطينيين على جبهة نعلين وبلعين، لا أجيد قراءة رواية عربيّة منفيّة في لغة أجنبيّة، خاصّة وأنها تتجاوز الخمسمئة صفحة. تلك واحدة من نقاط ضعفي التي أقرّ بها، وإن كان رأيي الذي عبّرت عنه في مقالتي لم يدّعِ أنه يطمح في إبداءِ رأي في أعمال الكاتبة سويف ومستواها الفني (بالمناسبة، فقد نُشر إعلان حديث عن صدور ترجمة الرواية إلى العربيّة في القاهرة. وبذلك سوف يسهل وصولها إلى القارئ العربي).

"لم يعجبني ما كتبته"..

لعل هذه الكلمات هي أصدق ما جاءِ في رسالة ليانة، وربما تكون الكلمات الصّادقة الوحيدة فيها. والحقيقة إنني لم أنتظر إعجابها، ولكنني انتظرت أن تفتح حواراً ثقافياً وسياسياً حضارياً علنياً، غير أن ظني خاب. ولم تكن المرّة الأولى، ولن تكون الأخيرة، التي يخيب الظنّ فيها ببعض الأصدقاءِ والرفاق القدامى.. في أزمنة التراجع والسقوط!

شكراً.. ولكن

سميح القاسم

نـ وصلكم عبر وسائل الاعلام، نبأ الدعوة التي تلقيتها من سمو الامير متعب بن عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، لتقديم قراءة شعرية خاصة في العاصمة "الرياض" بمناسبة انعقاد المهرجان الوطني للتراث والثقافة. وأكد سمو الامير في دعوته الكريمة ما اعرفه من ان اصدقاء قصيدتي في السعودية كثر جدا، فقبل اعوام زارتني في "الدوحة" مجموعة من الطلاب الجامعيين السعوديين الذين أصروا على مقابلة شخصية بعد ان قطعوا (حسب قولهم) مئات الكيلومترات لحضور أمسيّتي.. وبعدها باعوام تأجلت امسيّتي في "المنامة" قرابة ساعة حتى يتمكن ا لسعو د يو ن ، العالقون في المواصلات على الجسر، من حضورها، بناءً على اتصالات هاتفية منهم مع منظمي الامسيّة.

وكما تعلمون فأنا شديد الاعتزاز بالعلاقة الخاصة بين قصيدتي وبين احبتي واهلي في الوطن العربي وفي الديار المقدسة على وجه الخصوص.

بطبيعة الحال فقد رحبت بالدعوة الاخوية الكريمة من سمو الامير متعب، وأعربت عن رغبتي الصادقة في تلبيتها.

وعادت وظهرت ثانية المشكلة القديمة- الجديدة نفسها "جواز السفر" اقترحوا عليّ استصدار وثيقة فلسطينية او اردنية للالتفاف على هذه المشكلة، وكما تعرفونني، فقد رفضت هذه الفكرة، رغم انني أردني المولد فلسطيني الانتماء ومن حقي استصدار هذه الوثيقة او تلك، ولن يتعذر الامر عليّ لو كنت راغبا فيه.

وطبعا فليس اساس الرفض قائما على "التشبث" بجواز السفر الاسرائيلي، لكنه رفض قاطع لفهم خاطئ ومسيء لي ولمليون وربع المليون من العرب الفلسطينيين الذين بقوا على ارض وطنهم تحت الحكم الاسرائيلي، واختاروا..أجل.. اختاروا البقاء مهما يكن حجم الضريبة النفسية والمعنوية والمادية التي يدفعونها مقابل هذا البقاء المشروط بالرسميات الاسرائيلية.

سبق وقلتها على اكثر من فضائية عربية، وفي اكثر من وسيلة اعلام انني لو خُيرت بين الهجرة من الوطن وبين البقاء فيه شريطة ان أدمغ بنجمة داوود، لقدمت لهم وجهي ولأدرت لهم ظهري مصرًا: إدمغوا حيث تشاؤون.. ما أنا براحل عن هذه الارض مهما يكن الثمن!

لو خُيرت بين الهجرة من الوطن وبينِ البقاء فيه شريطة ان أدمغ بنجمة داوود، لقدمت لهم وجهي ولأدرت لهم ظهري مصرًا: إدمغوا حيث تشاؤون.. ما أنا براحل عن هذه الارض مهما يكن الثمن!

ليس سرًا ان الانتهازيين ومدمني الهرب والجبن، ومهرجي العمل الوطني والسياسي والثقافي والاجتماعي، يتقنون ابتداع الذرائع والحجج، لتبرير انهزاميتهم وانصرافهم الى اكشاك الارتزاق وحظائر القنانة، في خدمة أصناف شتّى من الجهات السرية والعلنية والمشبوهة والمفضوحة، محترفين التدجيل بهلوسات التنظير "لانتهاء زمن أدب المقاومة وشعر المقاومة"، مؤثرين حطام الدنيا على شرف الثقافة وجوهر النضال...

وليس سرًا انني واجهت هذه الظاهرة الساقطة اخلاقيا وفنيا وادبيا وفكريا وسياسيا، ووضعت دائما شرط احترام أبناء شعبي المقيمين في وطنهم تحت الحكم الاسرائيلي، وتفهم ظروف بقائهم وكفاحهم، وتقدير تشبثهم بترابهم الوطني والقومي منتصبي القامات مرفوعي الهامات، رغم كل اشكال الحصار والقمع والتمييز والعنصرية التي واجهوها

ببسالة جلية وبعقلانية شجاعة وناصعة، الى الأبد إن شاء الله وبعون الله.

يوم قامت اسرائيل كنا اطفالا، ونحن لا نتحمل مسؤولية قيام اسرائيل وبطاقة هويتها او جواز سفرها. واذا كان هناك من ينبغي ان يحاسب في هذا الموضوع، فهو جامعة الدول العربية بقضّها وقضيضها وبقديمها وجديدها وبوعدها ووعيدها.

أيها الاخوة الكرام الاعزاء، على امتداد الوطن العربي الكبير: نحن الضحايا ولسنا الجلادين، نحن السائلون ولسنا المسؤولين، ومن حقنا ان نطلب منكم فهما أفضل وأعمق وأرقى لما نحن فيه ومن حقنا ألا تزجوا بنا في مقولة "التطبيع" فنحن نمثل شعبا ووطنا وقضية ولا نمثل حكومة او دولة او مؤسسة رسمية. ثم إن القتلة والجواسيس الذين يدنسون بلادكم لا يتجولون هناك " بجوازات سفر اسرائيلية"، منذ ايام ايلي كوهين حتى قتلة المبحوح!

وأنا شخصيا زرت ايران وسوريا وعددا كبيرا من الدول العربية والاسلامية التي أقرت واعلنت أن جواز سفري هو قصيدتي.. وواجهت وجابهت كثيرا من السذّج او العملاء الذين لم يفقهوا المغزى القومي الحضاري التاريخي العميق لهذا التواصل الشريف النظيف بين الأمة وقصيدتها وبين القصيدة وأمتها، ولم يعمل على عرقلة هذا التواصل النبيل سوى المرتزقة والاقنان والعملاء والجواسيس، المختبئين هنا وهناك وراء أقنعة شتى!!

ولطالما قلت وردّدت وكرّرت إنني لا اسمح لكائن من كان بالمزاودة عليّ وعلى قصيدتي، ولطالما أعربت عن أسفي لانسياق بعض العناصر في الوطن العربي لتخرصات العملاء والجهلاء والحمقى والادعياء، المدسوسين منهم والمفضوحين، الذين يفتئتون علينا بباطلهم ويتطاولون ويتشدقون بما ليس فيهم ولا منهم، بل بأوامر الريموت كونترول التي يوجهها اليهم اسيادهم من هنا ومن هناك.

لكم كنت أتمنى، في ما تبقى من العمر، ان أقبّل ارض الحجاز الطاهرة وان اعانق، جسدا وقصيدة، أهلها الطيبين الكرام، والى ان يتحقق ذلك، اذا أتيح لي ان يتحقق ذلك، فسأكتفي بحج القصيدة وعمرتها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ايها الاخوة الاعزاء الاحباء الى يوم الحشر.. وشكرا جزيلا.

شكرا لسمو الامير متعب بن عبدالله بن عبد العزيز آل سعود على دعوته الاخوية الكريمة الطيبة.. شكرًا... ولكن.

عن الاتحاد - حيفا

وماذا عن الولد الفلسطيني؟

زياد خدّاش

نـ لو قيل لجائزة مؤسسة محمود درويش: اذهبي أنّى شئت واختاري صاحبك، لوصلت بخيلاء وسعادة ودون لحظة تردّد إلى بيت أحمد دحبور في حمص، تطرق بابه وترمي نفسها في حضنه، فيجهشان معاً في التناغم، لكن الجائزة تم اعتراض طريقها، والذهاب بها مرغمةً إلى كاتبة عربية نحترمها ونقدّر منجزها الإبداعي ترجمةً وكتابةً، لكنها للأسف ليست من تبحث عنها الجائزة الآن.

أحمد دحبور، في حمص / المنفى، مريض ومتألم ومندهش مما يحدث له، فقد عاد إلى المنفى من بلده فلسطين، وهي حالة غريبة لا تحدث إلاّ مع شخص متعب ومخذول، ويمتلك أسباباً قويةً لاختيار المنفى بديلاً عن بلاده التي طالما احترق بها ولها شعراً وكتابةً، وحلم بها مناماً وصحواً، وما بينهما، كانت الجائزة فرصةً مواتيةً لمنح الولد الفلسطيني إحساساً بجدوى حرائق الحلم والمنفى والكتابة، التي تلظّى في أتونها طيلة سنوات عمره، وطريقة بالغة الإنسانية والوفاء والوطنية لتبليغ الشاعر والناثر ــ صاحب درر أعياد الأربعاء ــ اعتذار البلاد وطلبها المغفرة منه.

جميل أن تذهب إحدى الجائزتين إلى الشاعر والروائي الجنوب إفريقي برايتن برايتن باخ، وكان جميلاً لو ذهبت الثانية إلى فلسطيني كأحمد دحبور لتكون جائزة المؤسسة بمنزلة جناحي نسر كوني ووطني يحلق في فضاءين، فضاء الثقافة الوطنية تتويجاً وتجسيداً ليوم الثقافة الفلسطيني، الذي اكتسب معناه من ذكرى ميلاد شاعر الغيم والريح محمود درويش، وفضاء الثقافة العالمية التي أضاء دلالتها منح إحدى الجائزتين لبرايتن برايتن باخ.

ابن حيفا الرهيف والحساس المليء بالجراح والمنفى، يستحق جائزة شاعر حيفا الكبير، فحيفا أولى المدن، أولى القصائد، وأول الألم لكلا الشاعرين، محمود وأحمد.

ابن فلسطين المعذب بفلسطين والعذب فيها يستأهل جائزة سيد فلسطين، لو فكّكنا جينات روح أحمد دحبور لاكتشفنا أنها مكونة من ثلاث بؤر: الشعر والمنفى وحيفا، يا له من فأل سيئ، أن تكون أولى بشائر مؤسسة محمود درويش هي خذلان توقعات المبدعين والمثقفين، والتعالي على نتاجاتهم، باسم رجل نادر الموهبة والذكاء هو أعظم المبدعين: من لم يتوقع منا أن الجائزة ستذهب إلى أحمد دحبور؟ من لم يتوقع من كتابنا ومثقفينا أن تكرم الجائزة أحد مبدعي الثقافة الوطنية في يوم الثقافة الوطنية؟ كسلمى خضراء الجيوسي أو مريد البرغوثي أو علي الخليلي، أو حنا أبو حنا وآخرين؟. فكرة جميلة أن تكون هناك جوائز باسم الحبيب الراحل، هذا قرار رائع لمؤسسة محمود درويش، لكن الأجمل والأعدل والأقرب إلى روح الجائزة ودلالتها المعنوية الكبرى هو ترك الجوائز تذهب إلى حيث تختار هي أصحابها دون تدخلات من هنا وهناك.

ابن حيفا الرهيف والحساس الـمليء بالجراح والـمنفى، يستحق جائزة شاعر حيفا الكبير، فحيفا أولي الـمدن، أولى القصائد، وأول الألم لكلا الشاعرين، محمود وأحمد

صدقوني الجوائز تعرِف أصحابها. كما عرِف دحبور صاحبته حيفا شجرةً شجرةً، وظلاً ظلاً، حين زارها أولَ مرة، وبحث بشكل جنوني عن شجرة سرو كانت أمام بيته، ليكتشف فجأةً أنه واقف على جذعها المقتول والمسوّى بالأرض.

أنا الولد الفلسطيني
أنا الولد المطل على سهول القش والطين
خبرت غبارها ودوارها والسهد.
üüü
كبرت وغيرت لي وجهها الأشياء، تساقطت الجراح على الربابة،
فانبرت تصدح،
بلاد الله ضيقة على الفقراء.

مقطعان من قصيدة (أنا الولد الفلسطيني) للشاعر أحمد دحبور.

كيف تعرف الفلسطيني؟!

رشاد أبو شاور

نـ وصلني قبل أيّام إيميل من الدكتور كمال خلف الطويل، يحمل هذا السؤال: كيف تعرف الفلسطيني؟!

وفي الترويسة ملاحظة بالعاميّة يستخف بها الدكتور الطويل من المعلومات التي يراد لها أن تكون طريفة وفكهة، والتي لا ينطبق كثيرها على الفلسطيني، وهي: أي تخنتها شوي.

ولأنني أحد من روّجوا بعض المعلومات الطريفة عن الفلسطيني، وهي صحيحة، وفيها شيء من الدعاية والدعابة، وفضح لمن يتسببون له بالعذاب فوق ما يعانيه، فإنني سأعمد إلى تصحيح ما جاء في رسالة الدكتور الطويل والتي واضح أنه لا يتبناها، وهذا ما توضحه ملاحظته بأنها تخينة شوي.

عندما كنت آنذاك أعيش في الفاكهاني مع ألوف الفلسطينيين المحشورين في شقق، ومكاتب، متلاصقة، متواشجة، متنافرة، متنابذة، و..يعيش معهم مئات الإخوة العرب الفارين إلى الفاكهاني من ظلم يقع عليهم في أقطارهم، ناهيك عن عشرات الأشخاص الوافدين من بلدان أوروبيّة، وأمريكيّة، وأفريقيّة من تلك التي كانت تشتعل فيها ثورات تحرريّة بعد أن ذاقت وكابدت عنصريّة البيض لعشرات السنين، كوّنت انطباعات عن أبناء جلدتي الفلسطينيين، لم أكن قد خبرتها من قبل.

لاحظت أن بعض الفلسطينيين يسيرون في شوارع وأزقة الفاكهاني وهم يكلمون أنفسهم، بينما يتمشون منفردين، يحركون أيديهم بحركات عصبيّة محتجّة، وكأنهم يواصلون جدلاً صاخبا مع أحد ما، ربّما لا يجرؤون على مجادلته لتنفّذه وسطوته.

وبناءً على تلك الملاحظة استنتجت القاعدة التالية: إذا ما

شاهدت شخصا يسير وحيدا في الشارع يكلّم نفسه، وسماته متوترة، غاضبة، محتجّة، محزونة..الخ، فاعلم أنه فلسطيني، وليس مجنونا، لأنه (في حاله)، لا يعتدي عليك، ولا يتهدد حياتك، وعيناه تنظران في داخله، وليس شذرا إليك، وهو يحمل هموما فوق طاقة البشر، ولذا فهو يكلّم نفسه محتجا على عالم لا يصغي له، وهو سبب تلك الهموم والمشاكل والرزايا.

وفي جلسات حوار فاكهانيّة، توصلت مع بعض الأصدقاءِ إلى أنك ستتعرّف إلى مضيفك، وتحدد فلسطينيّته، حتى لو لم تكن لديك فكرة عن انتمائه من قبل، إذا ما أحضر لك الشاي بالميرميّة شتاءً وصيفا، فالميرميّة عند الفلسطيني لا تطيّب مذاق الشاي وحسب، بل إنها مفيدة للمعدة، والتنفس، وللضغط، وللأعصاب..والحقيقة أن رائحتها (تُعيد) الفلسطيني إلى قريته، وبلدته، وأسرته التي لم يرها منذ أعوام طالت، ثمّ إنها تدل على (الهويّة) والانتماءِ.. رغم أن الميرميّة متوفرة في سورية ولبنان والأردن، وليست حكرا على فلسطين.

عندما تكون في جلسة، ويقف أحدهم ويعرض عليكم صادقا الدعوة للغداءِ، على مسخّن بالزيت، والخبز المشروح والكثير من البصل المحمّر..فاعلم أنه فلسطيني.

وإذا غدّاك شخص ما ملوخيّة ناعمة مع الكثير من الفلفل الأخضر، فاعلم أنه فلسطيني، لأن الملوخيّة ورق ماركة شاميّة مسجّلة، وقلما يطبخها الفلسطينيّون، اللهم باستثناءِ فلسطينيي الشام.

إذا دخلت بيتا ولفت انتباهك وفرة حقائب كثيرة، في الصالون، والمطبخ، والممرات، فاعلم أن (الساكن) في المكان فلسطيني لأنه متهيئ دائما للرحيل، والحقائب لزوم حشوها بالملابس، أمّا ما تراه من عفش وفرش وأدوات كهربائيّة فستباع برخص التراب، أو يتركها للأصدقاءِ، فالفلسطيني ينتسب لابن بطوطة قسرا واضطرارا، لا رغبة، وترفا.

إذا سمعت شخصا يقول بأنه استلف من مصروف البيت مبلغا، أي من أم العيال، فاعرف أنه فلسطيني، لأن الفلسطيني يترك كل شيءٍ مع الزوجة، فهو غالبا، كائن مهدد بالتسفير، أو الاعتقال، أو..ما لا يخطر ببال، بل إنه - أي الفلسطيني - يسجّل غالبا، إلاّ ما ندر، ممتلكاته، متواضعة، أو نفيسة، باسم الزوجة، كونه مرشحا للموت، للاستشهاد، للاغتيال، للطرد من حيث يقيم، فهو دائما منشغل البال بأم العيال والأبناءِ والبنات، ويعمل على تأمينهم وفقا للمثل: القرش الأسود لليوم الأبيض. وأيام الفلسطيني سوداءِ دائما، ونادرا ما تكون رماديّة، ورماديتها لا تفرق عن السواد سوى في الدرجة.

الفلسطيني كائن قلق، غير مستقّر، وهذا ليس في طبيعته، ولكنه نتيجة للنكبات والمصائب، والمذابح، والمطاردات، والتسريح التعسفي، و..هو كخبز الشعير مأكول مذموم.

الفلسطيني كائن مُعمّر، ففي كل بلاد العرب له دور، ولكنه بلا (دور)، فهو كسنمار، جزاؤه معد قبل قيامه بالبناءِ، وكل ما يحصل عليه يعتبر تفضّلا، علما أنه يعطي، وغالبا لا يأخذ، وما يأخذه لا يدوم، فقد يسحب منه، وقد يطرد منه، و..ذلك حفاظا على حقوقه، ودعما له، وحرصا عليه!

ساركوزي إبن المهاجر اليهودي يترقّى في سلّم القيادة في فرنسا حتى يبلغ ذروة قيادة فرنسا: الرئاسة، ويجلس على كرسي ديغول ...

وباراك حسين أوباما ينتخب رئيسا للدولة (الأعظم) ..بينما الفلسطيني ملاحق في وثيقة، أو جواز، تسهّل سفره، وتمكّن أبناءه من العمل، والدراسة، والزواج، وسياقة السيّارة ..وهكذا فالفلسطيني خطر على الأمن الوطني، والقومي!

الفلسطيني كائن مشبوه في المطارات العربيّة، حتى لو كان يحمل جواز سفر مضبوطا، غير مزوّر..وموظفو المطارات والحدود البريّة والبحريّة مدربون على شمّ رائحته، وتمييز سحنته من بين سحن مواطني العالم، ولذا يعاد من حيث أتى، أو يزج به في سجن المطار، أو يرمى به على كراسي المطار ليقضي بضعة أيام دون سين أو جيم، وقد يفرض عليه النوم في غرفة في فندق المطار بالعملة الصعبة كما لو أنه سائح، رغم أنه يتنقّل في العالم بحثا عن أي عملة سهلة تساعده في تربية أبنائه، وصون كرامة أسرته!

الفلسطيني هو الذي يمكن طرده من مخيمات على الحدود إلى تشيلي والبرازيل ..حرصا على عروبته، وفلسطينيّته!

الفلسطيني هو العربي الذي يمكن لأي دولة عربيّة اعتقاله دون حساب للنتائج، أو اهتمام بردود الفعل، فهو مستباح تماما، وهو مُلكيّة عامة لكل نظم الحكم، يحق لها أن تفعل به، ومعه، ما تشاءِ.. انطلاقا من الأخوة..والتضحيات التي قدّمت له ولفلسطين!الفلسطيني هو العربي الوحيد المطلوب منه أن لا يذكر إسم بلده، لأن ذلك يعني أنه (إقليمي) متعصّب..وناكر للجميل

الفلسطيني هو الذي يمكن لأي (طامح) في بلد عربي أن يشّن عليه حملة، فيطالب بتجريده من جواز سفره، وحرمانه من كل حقوقه، وذلك ليتبوأ ذلك الشخص منصبا، ويشار له بالبنان أنه يدافع عن بلده!

الفلسطيني هو الذي يتابع نشرات التلفزيون والإذاعات، ويعرف أسماءِ المذيعين والمذيعات، وينفخ بغلّ: ما فيش أخبار مثل العالم والناس.

الفلسطيني هو العربي الذي يمكن لأي دولة عربيّة اعتقاله دون حساب للنتائج، أو اهتمام بردود الفعل، فهو مستباح تماما، وهو مُلكيّة عامة لكل نظم الحكم، يحق لها أن تفعل به، ومعه، ما تشاءِ.. انطلاقا من الأخوة..والتضحيات التي قدّمت له ولفلسطين!

الفلسطيني هو العربي الوحيد المطلوب منه أن لا يذكر اسم بلده، لأن ذلك يعني أنه (إقليمي) متعصّب..وناكر للجميل!

الفلسطيني تعرفه عندما يتحدّث بحرقة عن عروبة الجزر الإماراتية، والخليج العربي، فهو موجوع بعروبته، شديد الحساسيّة تجاه كل حبّة تراب عربيّة تستباح.

الفلسطيني ينطبق عليه ما قاله شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه بالخلد نفسي

ولذا فالفلسطيني لن يقبل بأي وطن بديل، ويستحيل أن يرضى بتبديل وطنه فلسطين.

الفلسطيني هو الذي عناه المتنبي، عندما قال:

أنا من أمّة تداركها الله

غريب كصالح في ثمود

وبعد: أليس للفلسطيني أخطاءٍ؟!

له..وأبرزها أنه ما زال يصدّق كلام من يحزّ عنقه وعنق فلسطين بالسكين، بينما عيناه تسيلان دموع التماسيح!!

الفلسطيني ولأنه عربي بامتياز، فإن الكيانات الإقليميّة والإقليميين..يناصبونه العداءِ، وهؤلاءِ ينغصون عليه عيشه، ويضعون الحواجز في طريقه، ويحرمونه من وضع كل طاقاته في مكانها..لفلسطين.. ولأمته!

حياة الفلسطيني جد جدّا، موت حقيقي، وغربة، ومع ذلك فالفلسطيني يضحك من كل قلبه..ولولا ذلك لطقّ ومات وانقرض..

عن القدس العربي

الأدب كمقاومة

سهير ابوعقصة داود

قبل فترة قصيرة الغي مؤتمر اليسار في دمشق "لالسباب تقنيه" وقبل حوالي شهرين تعرضت محاضرة فلسطينية لاهدار الدم ولتشهير ظالم من قبل طلابها في الجامعة المريكية في جنين واتهامها زوراً بتشويه الاسلام والذات الالهية لانها اقرت لطلابها في الادب الانجليزي رواية بيرسيبوليس: قصة طفولة للكاتبة والرسامة البيانية الايرانية مرجاني ستارابي . هذا القمع الذي يستشري ضد الفكر والادب لا يجد له صداً من اليسار مما يجعلنا نسأل هل اليسار موجود فعلاً؟ ولماذا يصمت في كل مرة عليه ان يتكلم؟ لماذا لا يقاوم القمع الداخلي والذي لا يقل ابداً خطورة عن قمع الدبابة والاحتلال؟

ان المقاومة لا تتم فقط بتحدي الاحتلال ولكن بالحفاظ على الهوية الجماعية وعلى الهوية وعلى الكلمة الحرة. ان حالات الاحتلال تؤدى الى حراك شامل في المجتمعات تحت الاحتلال ودور الكاتب او الشاعر او الفنان لا يقل اهمية عن دور المقاتل. وصمود الشعوب يتوقف على الارادة التي يصقلها المفكرون والكتاب والفنانون نبض المجتمع.

"أنظر حولك-الامر الوحيد الخطر في هذا المكان هو الشعر"

بهذه الكلمات علق الشاعر الشيوعي الكبير بابلو نيرودا (١٩٠٤- ١٩٧٣) على العسكريين الذين اجتاحوا بيته ليفتشوه بعد الانقلاب العسكري في تشيلي اوائل السبعينيات والذي اطاح بالحكومة الاشتراكية. فالمحتل والقامع يخاف الكلمة ويخاف الادب. ولطالما خاف المستعمر من ثقافة وتراث وادب الشعوب التي يحتلها ومن هنا كانت اولويات المستعمر الغاءِ الهوية وتشويه الحضارة وتطويع المثقفين كطريقة لاحكام السيطرة على الشعوب وهو ما حذر منه انتونيو غرامشي في نظرية الهيمنة الثقافية- ١٩٣٧- ١٨٩١ (مؤسس الحزب الشيوعي الايطالي لذي مات بعد مرض عضال نتيجة ظروف السجن الرهيبة على يد الفاشيين ولكنه خلف وراءه تراثاً فكرياً وادبياً كبيريين واصبحت فلسفته "الغرامشية" والتي تدرس في سياقات ادبية وفكرية مختلفة.)

وقد كان مصير العديد من كتاب المقاومة للاحتلال او المستعمر او النظام الداخلي القامع الى الملاحقة والسجن والقتل وتشويه السمعة . وهناك اهمية ان يوضع الادب الفلسطيني المقاوم في سياق الادب المقاوم العالمي ومن هنا يجدر ان تكرس ابحاثاً لدراسة الادب المقارن ليس "لمعرفة من افضل الانجليزي ام الفرنسي بل لفهم الذات عن طريق فهم الاخر" كما قال ادوارد سعيد.

والشعر بحسب محمد الماغوط هو " الذي لا يقودك الى الدخل الثابت والمكان المعهود.. بل الى المعتقلات النائية.." (سأخون وطني ص ١٣٥). ومن هنا رسالة الشعر المقاوم التحدي والاستعداد لدفع الثمن.

في هذا المقطع الرائع يصور ناظم حكمت الشاعر التركي (١٩٠٢- ١٩٦٣) والذي عاش في المنفى في موسكو بسبب انتمائه للحزب الشيوعي وكان قد لقب ب"الشيوعي الرومانسي" او" الشيوعي الحالم" الاولويات والالتزام الوطني الذي يفوق اي التزام شخصي يقول:

حبيبتي

لم استطع ان احضر لك باقة من البنفسج

كم اردت ان اشتري لك بنفسج

لكن الرفاق كانوا جائعين

فاشترينا خبزاً أسودا

(الترجمة عن الانجليزية لكاتبة هذا المقال)

وفي احد مقاطع قصيدة مفارقة رائعة للاديب السوري العربي الراحل محمد الماغوط "حريق الكلمات" يرسم الماغوط صورة الانتكاس العربي الذاتي والذي هو جزءٍ من التخاذل العربي العام تجاه القضايا الملحة قائلاً :

لبنان يحترق

يثب كفرس جريح عند مدخل الصحراءِ

وانا ابحث عن فتاة سمينة

احتك بها في الحافلة!

وفي الحالة الفلسطينية كان غسان كنفاني (١٩٣٦-١٩٧٢) اول من اطلق لقب المقاومة على الشعر الفلسطيني في كتابه "ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨- ١٩٦٦" وتلاه بكتاب اخر بعد ١٩٦٧ وقد اثار هذا المفهوم والادب الذي صدر تحت الاحتلال بعد حرب ١٩٦٧ اهتماماً كبيراً . وفضل كنفاني الوطني والادبي ليس فقط باطلاق التسمية بل الى مساهمته الرائعة في التعريف عن هذا الادب وريادته في نشر ابحاث حول هؤلاءِ الشعراءِ ونشر قصائدهم بعد ان كان

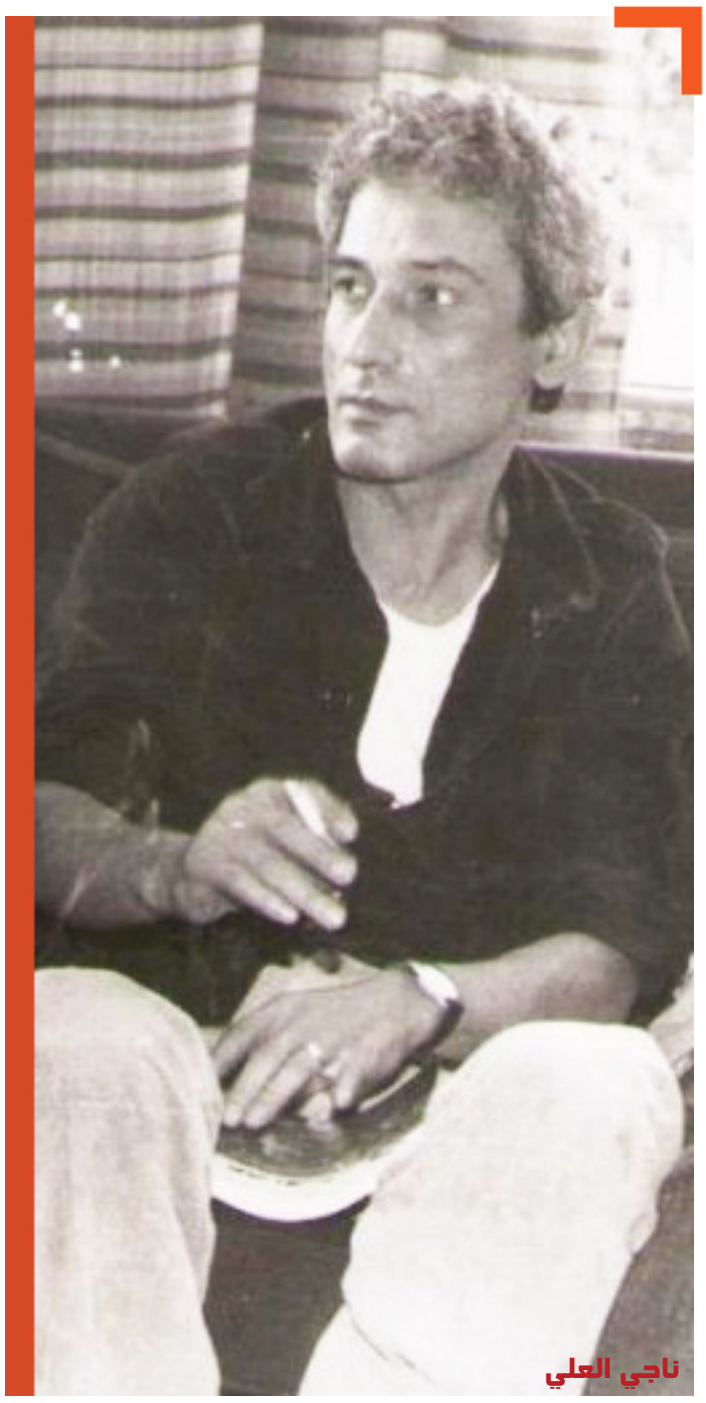

ناجي العلي

هذا الادب منسياً وله ايضاً يرجع فضل اكتشاف ناجي العلي وفتح صحيفة الحرية الناطقة بأسم الحركة القومية التي كان يرأس تحريرها في الكويت لرسومات العلي مما غير مجرى حياته.

عموماً يرتبط هذا المصطلح بأدب المقاومة الذي افرزته الشعوب المحتلة في العالم الثالث تحت الاستعمار. ولكن أدب المقاومة هو أدب انساني عام فإن اي ادب باشكاله المختلفة (ادب، شعر، مسرح، رسائل السجون، فكر، مدونات..) يقاوم المحتل ويشحن الشعب للمقاومة والتحدي يجدر ادراجه في ادب المقاومة. ولكن أدب المقاومة ليست فقط ضد محتل اجنبي واحتلال للأرض. المقاومة هي كل شكل من اشكال الانتاج الفكري والابداعي لمقاومة القمع والظلم الداخلي ايضاً. فماذا نسمي ادب السود المقموعين في امريكا او الادب الفرنسي تحت الاحتلال النازي او أدب غرامشي تحت الحكم الايطالي الفاشي في الثلاثينات؟ لطالما اخافت الكلمة والقصيدة المحتل ا لاسرائيلي. في الستينات قال موشيه ديان مرة "ان قصيدة واحدة لفدوى طوقان كافية لتنجنيد عشرة ارهابيين". في ١٢ تموز ١٩٧٢، اغتالت اسرائيل الكاتب الفلسطيني الكبير غسان كنفاني (قبل عملية ميونيخ في المانيا بشهرين وكانت الدعاية الاسرائيلية تدعي ان اغتيلات السبعينات كانت رداً على هذه العملية. وقامت اسرائيل باغتيال اكثر من مئة فلسطيني ولبناني بعد عملية ميونيخ معظمهم لا يمتون بصلة للعملية ولم يحملوا يوماً سلاحاً وكان من بينهم ادباءٍ وعلى رأسهم كمال ناصر ووائل زعيتر وقد كرس فيلم ميونخ للمخرج الهوليوودي الصهيوني ستيفن سبيلبرغ هذه الدعاية وهو الذي تبرع لاسرائيل بمليون دولار بعد عدوانها على لبنان في حرب تموز ٢٠٠٦ وكان عدد من الفنانين الفلسطينيين قد تباهوا بالمشاركة في هذا العمل المشبوه.)

تصميم عن صورة لغسان كنفاني - من الانرنت

مرض اللهاث وراءِ الجوائز

بسبب النكبة والظلم التاريخي المستمر الذي وقع على الشعب الفلسطيني هناك احساس عام من ان كل ما ينتج عن الفلسطينيين هو ادب مقاومة وكأنه يكفي لأن تكون فلسطينياً لأن يصبح كل ما تكتب ادباً وادباً مقاومًا ايضاً. قال جبرا ابراهيم جبرا في روايته السفينة في السبعينات " كل فلسطيني هو شاعر. " لأنه وإن لم يكتب الشعر الا انه يعرف شيئين اساسيين: جمال الطبيعة والمأساة. وهنا تتجلى اضفاءِ الرومانسية على الشعب الفلسطيني ككل وكأنه شعب لا يخطيءِ ولا يجرم ومن هنا لا يحاسب ولا ينتقد. ولكن الشعب الفلسطيني ككل شعب، به مبدعوه ومناضلوه ومفكروه وبه ايضاً الانتهازيون. وكثير من الشعراءِ هم انتهازيون وفلسطين لا تتعدى بالنسبة لهم سوى بوابة للشهرة. وبعض هؤلاءِ مبدعون فعلاً من الناحية الفنية ولكنهم لا يكفون عن اللهاث وراءِ الجوائز الملوثة بالنفط احياناً او بمرض اللهاث الى نوبل احياناً اخرى.

ومن هنا كان اختياري لمبدعين كبيرين لم تكن الجوائز ولا ابداً في حساباتهم. لم يكن لهم ولاءِ لا لحزب ولا لسياسة سوى للمقموعين والمضطهدين. مبدعين كان همهما نقل ونقد الواقع الطاغي. كان سلاحهم الفني ذو حدين واحد ضد اسرائيل والصهيونية والاخر ضد الانظمة العربية المتواطئة والرجعية: ناجي العلي ومحمد الماغوط هما اختياري كممثلين لادب المقاومة.

ناجي العلي يمثل في نظري القضية الفلسطينية وتاريخ الشعب الفلسطيني منذ النكبة. فنه يعكس الظلم والتواطؤ العربي والعالمي على شعب فلسطين ولكن فنه يعكس ايضا المقاومة والارادة الفولاذية التي لا تقهر لهذا الشعب الجبار والالتزام بالمبادئ حتى الموت.

وناجي اصبح لاجئاً في العاشرة فخلق حنظلة ابن العاشرة المشرد ابن المخيم حافي القدمين والذي لن يكبر الى بعد ان يعود الى فلسطين ١٩٤٨. الى قرية الشجرة التي ولد فيها (ويقال ان اسم الشجرة اطلق على القرية بسبب مرور السيد المسيح في القرية وجلوسه تحت احدى شجراتها).

عاش ابن المخيم كما عاش الالاف من ابناءِ الشعب الفلسطيني في الحرمان ولكنه تميز في جيل مميز خلق المقاتلين والمناضلين والثوار.

لكن ناجي بقى على عهده ولم يتلوث كما تلوث الكثيرون وبقي حتى اللحظة الاخيرة وفياً لمخيمه ولاطفال المخيمات. كانت تجربة الاقتلاع حاضرة في كل اعماله لكن التحدى والامل هما الوجه الاخر لادب المقاومة. فالمقاومة ليس البكاءِ على ما مضي بل شحن وشحذ الهمم لاستعادة المسلوب ولتحويل الهزيمة الى نصر. ورسم ناجي اول رسوماته في السجن في لبنان وكان قد اعتقل عدة مرات على يد اجهزة المخابرات اللبنانية بسبب نشاطه السياسي في المخيمات الفلسطينية في الستينات وكان العلي قد انتمى الى حركة القوميين العرب (لاحقاً الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش) . ولكنه قد اقصي من الحركة لعدم التزامه الحزبي.

رسم ناجي بالابيض والاسود اكثر من ٤٤ الف كاريكاتورا للاسف معظمها غير متوفر والاهم غير مترجم للغات الاساسية (والامر في حالة محمد الماغوط اسوأ بكثير فهنالك بضع عشرات قد تتعدى المائة من رسومات ناجي متوفر في الانجليزية في حين هناك نقص صارخ في الترجمة للماغوط حتى بالانجليزية) ومشروع الترجمة مشروع وطني يقع على عاتق القيادات الفلسطينية السياسية والثقافية وكل من قادر على انجازه بشكل فردي فهو ايضاً مساهم في مشروع وطني من الدرجة الاولى.

حملت رسومات ناجي رسائل سياسية صريحة ضد التسوية ونادت بتحرير كل شبر في فلسطين منتقدة المهادنين والمتواطئين.

إن حالات الاحتلال تؤدى الى حراك شامل في المجتمعات تحت الاحتلال ودور الكاتب او الشاعر او الفنان لا يقل اهمية عن دور المقاتل. وصمود الشعوب يتوقف على الارادة التي يصقلها المفكرون والكتاب والفنانون نبض المجتمع

وبرز الصليب في رسوماته كقيمة للفداءِ والحجر كقيمة للمقاومة فيما بقيت شخصياته الاساسية لا تتغير من حنظلة الى فاطمة التي مثلت الام والوطن والمخيم ولبنان وفلسطين والنصر والعزيمة ايضاً

ناجي العلي اغتيل. وينقلني هذا الاغتيال الى محققو غرامشي الذين قالوا " علينا ان نصمت هذا العقل عن العمل لمدة عشرين عاماً" لكن غرامشي مات بعد ١١ عاماً وكان قد قال "انني مستعد ليس فقط للسجن بل للموت اذا توجب ذلك من اجل مبادئي." ناجي وغرامشي ماتا جسدياً ولكنهما بقيا خالدين ومؤثريين. مات ناجي العلي لأنه كان حقيقياً وصادقاً وكان قد اتهم بأنه "جريءٍ اكثر من اللزوم" . ويسأل هنا سؤالاً: لماذا لم يتم تشكيل لجنة فلسطينية للتحقيق في من اغتال ناجي العلي؟ هناك شبهات قوية ان اطرافا فلسطينية متورطه في قتله؟ لماذا نريد لجان تحقيق في جرائم اسرائيل ونخرس عن المطالبة في جرائم قياداتنا؟

وقصة ناجي العلي وموته مقلقة حتى بعد اكثر من عشرين عام عى اغتاله. لماذا لم يدفن في عين الحلوة قرب والديه كما اوصى؟ وكيف يمكن لأن يسبب دفنه مجزرة جديدة ضد الفلسطينيين في لبنان؟ لماذا ما زال غريباً ومنفياً في لندن حتى بعد وفاته؟ وكان محمد الماغوط الكاتب المسرحي والشاعر والاديب السوري الراحل قد قال ايضاً في احدى قصائده: "الفرح ليس مهنتي الكل يعرف اني سأموت سجيناً او جائعاً". وقد مات وهو مصاب بالاحباط ولم تفارقه في حياته ذكريات التعذيب في السجون السورية في الخمسينات بسبب انتمائة للحزب القومي السوري. ويعترف الماغوط في كتابه "سأخون وطني: هذيان في الحرب والحرية" ان انتمائه للحزب لم يكن من منطلق مبدأي بل بسبب وجود مدفأة في مقر الحزب ولكونه قريباً من منزله في حين كان الحزب الاخر بعيداً ولم يكن به مدفأة!

ومن اهم ما في ادب الماغوط هو نقده لليسار العربي والتنظيمات التقدمية العاجزة والانتهازية . فيقول " منذ ان اكلت اول بوكس "تقدمي" في حياتي قبل ٢٧ عاماً لم اعد اطمئن الى احد" (ص ١٩١). ومن نقده البليغ نقده اللاذع لثورة ١٩٥٢ والتجربة الناصرية قائلاً في كتابه سأخون وطني: هذيان في الرعب والحرية قائلاً "لولا حكم الارهاب الذي دشنته (الثورة) في المنطقه، والاحكام العرفية وقوانين الطوارئ وحل الاحزاب واغلاق الصحف وفرض الرقابة...وتذويب المعارضين بالاسيد.. ولولا انها قضت على فاروق واحد وخلقت بدلاً منه الف فاروق وخديوي...لكانت اعظم ثورة عربية في التاريخ الحديث" (ص: ٣٥٦-٧). وهذا النقد الصارخ يطرح ايضاً تحليلا لفشل الخطاب القومي وهو غياب الديمقراطية وقمع الحريات.

كما ويشخص الماغوط الهزائم العربية وعجزها عن هزم اسرائيل بهذا المقطع الرائع من "ختم المعلومات" (في سأخون وطني (٢٦٣) وبه اختم:

كان امامي شيئان لا ثالث لهما: العرب واسرائيل
هي دولة واحدة ونحن ٢٢ دولة.
هي عندها جيش واحد ، ونحن عندنا ٢٢ جيشاً.
هي عندها برلمان واحد ، ونحن عندنا ٢٢ برلمانا.
هي عندها شعب واحد ، ونحن عندنا ٢٢ شعباً.
هي عندها موقف واحد من المقاومة الفلسطينية ، ونحن عندنا ٢٢ موقفاً منها.

نص محاضرة القتها المؤلفة في مؤتمر اليسار الفلسطيني-لندن، وهي كاتبة فلسطينية ومحاضرة في العلوم السياسية-الولايات المتحدة

عن الاتحاد - حيفا

سليم البيك

لا تحتاج مونيكا بيللوتشي أن تقوم بدور عاهرة كي تطلق نفير الليبيدو لدى مشاهديها. لكن صار أن حضرتُ فيلمها Combien tu m'aimes? "بكم تحبّني؟" وخرجت منه بحد أدنى من السلامة العقلية، أو هكذا خُيّل إلي، لأكتب لاحقا هذه المقالة.

تسكن دانييلا (مونيكا) مع صديقها- زبونها سابقا- المريض بالقلب، والذي لا يملّ طبيبُه الخاص وصديقُه، وهو الآخر يريد مضاجعة دانييلا، من الإلحاح عليه بأن لا يمارس الجنس مع أي كانت كي لا يتعرّض لنوبات قلبية. فكيف لو كانت صديقته دانييلا (أي أن تكون مونيكا، وتكون فوق ذلك عاهرة) الملاحظة الأخيرة منّي وليست من الطبيب.

لاحقا، وأثناء زيارة الطبيب لصديقه، يعترف الأخير بأنه ودانييلا قد مارساه، فيضطر الطبيب لقياس ضغطه، ويسأله إن كانا "مارسا الحب" في الغرفة- ليؤثّث لخيالاته عن دانييلا ربما- فتفزّ له الست دانييلا (ويا لتلك البراءة البيللوتشية) وتجيب بأنهما كانا في السيارة، وأنهما بالتالي مارسا الجنس وليس الحب، ففي السيارة يمارس الناس الجنس، وفي الغرفة يمارسون الحب.

وهذا- من بعد عُهورة مونيكا- أكثر ما لفتني في الفيلم، الفرق بين make love و have sex بالإنجليزية وبالفرنسية. حاولت أن أستحضر عبارة باللغة العربية تقابل الـ make love أو faire l'amour هذه، ولكني لم أجد غير "ممارسة الحب" والتي تبدو ترجمة آليّة سطحية حَرفية للعبارة الإنجليزية أو الفرنسية أكثر منها عبارة عربية متأصلة في لغتنا المُشبّعة بالفحولة والعنفوان.

للموضوع أبعادا سيكولوجية قد تكون مقلقة إن حقا خلت لغتنا من عبارات، متأصلة فيها وليست مستحدثة، تدل على الجنس بأنه عملية ممارسة فعلية للحب تحوي عناصرها الثلاثة حسب ثيودور رايك: الحب (العاطفة والحنان) والجنس (الحافز الغريزي) والأنا (الرغبة في تملك الشريك وكذلك الرغبة في أن يكون الشخص مرغوبا)، وليس مجرد عملية تفريغ فيزيائي لتوتّر داخلي، كما يفعل الفرنسيون في السيارات عادة.

فور انتهاء الفيلم هرعتُ إلى مكتبتي و"القاموس الجنسي عند العرب" تحديدا، متأملا أن أجد شيئا أكثر "حبيّا" من كلمة "ضاجع" مثلا، لكني وجدت كل الحماسة والعنفوان العربيين في الكلمات الدالة على هذه الممارسة، أما شروحها فهي انتكاس بحد ذاته. ومن هذه الكلمات/الأفعال مثلا هنالك: بضع، بطش، بغل، بيظ، جثم، جخع، جظظ، جلخ، جلد، حرث، حرق، حشأ، حفر، خجأ، خجج، خرط، خرق، خفج، خقق، خوش، دحس، دسس، دعس، دعمظ، دكك، دهك، ذقط، ذغغ، رطم، رفش، ركب، زخخ، سطا، شأز، صلب، ضهز، طبز، طخخ، طرق، طعج، طعن، طفش، عرفج، عزط، عفص، فتح، فرم، قرف، كبس، لزق، لقح، معس، معط، نخج، نيك، وأد، وطأ... الخ الخ الخ.

قلتُ لِحالي ما لك غير كتب التراث "يا ولد"، ففتشت "ع السريع" في "رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه" و"أوقات عقد النكاح" و"الروض العاطر في نزهة الخاطر" و"كتاب الإيضاح في علم النكاح" وغيرها، ولكني- والعزّة للمسلمين- لم أجد ضالتي.

حاولت لأسابيع أن أغض النظر عن الموضوع وأتناسى ما سمعته في الفيلم.

×××

بعد فترة.. كنت أقرأ كتاب "سيكولوجيا العلاقات الجنسية" لثيودور رايك، الكتاب صدر في الخمسينيات، ورايك هو من تلامذة فرويد وكان من شلّته قبل أن يرتدّ عنه. يذكر رايك في فرضياته أن الشعوب البدائية كانت تمارس الجنس كحاجة غريزية فقط، وأنه لم يكن هنالك ما يُعرف اليوم بأنه الحب، وأن الحب تطوّر مع الزمن، وأنه نتاج حضارة وثقافة وبالتالي هو أكثر تطورا وتعقيدا في المجتمعات الحضارية أو المتقدمة منه في المجتمعات البدائية أو المتخلّفة. وفليفرحن النساء، قال أيضا بأن النساء قديما علّمن الرجال الحنان والعاطفة في العملية الجنسية كي يخففن من وطأة عنف وسادية ووحشية "وجَحشَنة" الرجال التي كانت تسيطر أثناء العملية (ولم يفعلن ذلك حبا في الحنان) وهذا الحنان كان أساس ما تطوّر لاحقا ليعرف بأنه الحب.

حسنا، هذا فقط تلخيصي لعدة فصول من الكتاب. وهي، أي الفرضيات، ليست بالضرورة صحيحة، غير أني أميل لتصديق مسألة اختراع النساء للحب كونه أتى عن ذكاء ودهاء (عن حق طبعا). ورايك نفسه يقول بأن ما يطرحه مجرد فرضيات سيكولوجية قد تُفنّد بغيرها، زِد على ذلك أن رائحة عنصرية وطبقية فاحت من كتاب رايك هذا، الذي قال أيضا بأن الحب يكون أقل تطورا عند الأقليات وبعض الأعراق والطبقات الفقيرة وفي الشرق إجمالا، وأن ذلك ينعكس على ممارساتهم الجنسية، وهذا ما جعلني أرجع للفيلم ولعبارة دانييلا.

كان لابد، إذن، أن أرجع للفيلم بعد ذلك، ثم لكتبي علّي أجد شيئا في لغتنا يدلّ على أننا لسنا من يفعل في الغرف فقط ما يفعله الفرنسيون في السيارات، وأن الحب عندنا، وبالتالي "ممارسته"، ليس -إن صحّت فرضية رايك- أقل تطورا وأكثر بدائية، وكأننا نتكلم عن عمليات تخصيب اليورانيوم.

ولكني على كل حال لا أفترض صحّة عبارة رايك العنصرية، وأفترض فقط صحّة عبارة دانييلا العاهرة. فليَحِل رايك إذن "عن سما" هذه الأسطر.

أما بخصوص عبارة دانييلا وإن كان ثمّة ما يقابل make love في لغتنا، فسأعتبر أنّ دانييلا استثناء، أنّ مونيكا بيللوتشي استثناء وأنها حين تقوم بدور عاهرة ستُوجِد فرضياتها وقوانينها الخاصة ولا حاجَة لأن تكون هي "الاستثناء" حينها، وعليّ أن أبحث أكثر في لغتنا كي أجد ما يتفق ومنطق تلك العاهرة دانييلا، فأطمئن لحالنا.

×××

لكن لحظة.. حسب رايك هذا، فإن الجنس عند العاهرات هو جنس محض، يخلو من عنصرَي الحب والأنا، أي أنه، ضمنا، من نوع "السيارة" وليس "الغرفة". طيّب، لكن صديق دانييلا حينها كان قد أصبح صديقها ولم يعد زبونا عندها، وهي، أصلا، تسكن عنده. إذن، فعليّا، لم تكن مونيكا تقوم بدور عاهرة في الفيلم، بل كانت تعتني بصديقها "العكروت".

إذن شو مشكلة رايك مع مونيكا بيللوتشي؟

أفففففف

خلص، سأنهي المقالة هنا، وانسوا الفقرة الأخيرة تخرجوا سالمين.

الصورتان لمونيكا - فوتوشوت من الفيلم

يوميات عكيّة في باريس

علاء حليحل

باريس: اليوم الأول

وضعتُ رواية "روائح ماري كلير" (للتونسي الحبيب السالمي) في محفظتي، من بين سائر الكتب التي على المنضدة (وديوان لعناية جابر). لم أكن أعرف أنها تسجل قصة حب في باريس، ولكنني كنتُ قرأت عن تميز هذه الرواية، فقلتُ أقرأها في الطائرة. حملتني الرواية بهدوءٍ وبلا "دراماتيكية" تُميّز روايات الحبّ، إلى باريس، وحين حطت الطائرة في مطار شارل ديغول كنتُ قد قطعت ثلثيها على الأقل، وكانت قصة الحب بين الراوي وماري كلير قد بدأت تتدهور، وفق جميع علائم انتهاءِ الحب (تعرفونها؟.. أصعبها التجاهل).

هكذا حطت الطائرة وأنا أعيش تفاصيل احتضار حبّ باريسيّ، من دون أن أعيش حبًا كهذا، يتمناه جميع الرومانسيين (الأحياءِ منهم والأموات). كانت باريس نائمة في السادسة صباحًا وكان البرد ينخر جسدي، وندمت أشدّ الندم لأنني لم آخذ معي الكلاسين البيضاءِ الطويلة التي نبهتني إليها أم الدشة ولم أنتبه. باريس باردة في هذه الأيام، ولكن ألفة كبيرة تلفني معها اليوم، على خلاف المرة السابقة، التي كانت سريعة ومقتضبة: "كويكي على الواقف". حتى متحف اللوفر بدا باسمًا هذه العصرية (من دون علاقة بأنّ الدخول إليه اليوم مجانيّ) ولم أكترث للريح الصّرصَر التي هبت على ساحة الكونكورد والمِسلة الفرعونية (الملطوشة) التي تنتصب في وجه لا أعرف من.

اليوم الأول في باريس جميل، ويبدو أنّ نصائح العزيز بيار ستفعل فعلها. طلبتُ منه أن يسمي لي معالم وأماكن جديرة بالزيارة، ولم يبخل، بل استزاد، وأعتقد أنني في ورطة الآن، لأنّ الوقت الممنوح لفسحي محدود، وسأضطر إلى تحمل عتاباته الودية وهو يسأل بتعجب (في الأيميل): لا؟ ما زرت "ثياتر دي لا فيل"؟؟ له له يا رفيق!

يقع الفندق الذي أنزل فيه في المنطقة الضبابية العصية على التعريف، بين "حقير" و"متواضع". ورغم أنه آيل للسقوط في كل لحظة إلا أنّ فيه "واي فاي" وبلاش. وقد اقتصر فطور الفندق هذا الصباح على قهوة سوداءِ وبعض الحليب، كروسون واحد صغير وربع (يمكن ثمن) باغيت، إلى جانب قطعة زبدة ووجبة مربى صغيرة. ما يشبه فتحة النفس ليس إلا. كمية الطعام التي أزدردها على الواقف، حين أستيقظ، قبل تنظيف أسناني، قبل أن أجلس إلى الفطور. كنتُ أعتقد أنّ هذه هي المقدمة لا أقلّ، وأنّ البيض والمقانق (بالميم) والأجبان آتية لا ريب، إلا أنّ الفندقيّ المناوب ابتسم لي حين ابتسمتُ له، وفهمتُ. ولكن أكثر ما أغاظني أنه كان يجلس خلفي في السابعة والنصف صباحًا، لا أحد غيرنا في "غرفة الطعام"، وكان يمضغ الباغيت بصوت عال ثم يشفط القهوة شفطًا، فكانت كل شفطة وكل مضغة تقطعان أحشائي قطعًا، ولولا أنني أنحدر من عائلة لم يُخلق بعد مَن يسدّ شهية أبنائها، لقُمتُ من دون أن آكل وجبتي الضئيلة المتواضعة (لن أقول حقيرة).

في التاسعة مساءً يقرصني الجوع، فأقرصه. أبحث عن "أيّ حاجة في أيّ حتة" تلائم ميزانيتي المتواضعة. يلهمني أنفي في اللحظة الحاسمة فأشمّ رائحة لحم ببهار عربيّ. بعد ثوان أراه: سيخ شوارما يسبّح الليل ورواده. هنا يسمونه "كباب" ولكن لن نتوقف عند التفاصيل. يطالعني وجه الكبابجيّ الملتحي بلحية غير حيادية، فأطلب دجاجًا بالإنجليزية، ثم أتذكر، فأسارع: "عربي؟" يبتسم ويقول: "مْنين؟"، أقول فلسطيني، وأرجو ربّ العباد في سري أن لا يسألني "مْنين؟" مرة أخرى، لئلا أدخل في متاهة عكا وعرب الداخل والثماني وأربعين وتصنيف الانتماءات وتقلبات الهوية والطقس وسراويل الحسيني الداخلية. يبتسم حين أقول له إنني فلسطيني ويسأل السّؤال الطبيعي بعد هكذا كلمة: "دْجاج بالكاري؟ بالبازيليك؟ بالخردال؟". أبتسم ملءِ جوعي، وأطلب بالبازيليك. يحاول البائع أن يتودد إليّ لكنّ عربيته مثل فرنسيتي، فنصمت بعد حين وعيني على ساندويتش الدجاج وعيني الأخرى على القدس (بمزح معكو؛ عيني الأخرى على فرنسية حسناءِ، ولكن يجب على كل فلسطيني في العالم أن يحشو كلمة القدس في أي نصّ يكتبه، وها أنا قد انتهيت من "الكوتا" المقدسية المفروضة عليّ).

آكل ساندويش الدجاج بشهية وبعد اللقمة الثانية أندم لأنني لم أشترِ اثنين، إلا أنني أنظر إلى كرشي في المرآة وأشكر الآلهة أنني لَم أشترِ اثنين، فأكتفي برقائق البطاطا المقلية المغمسة بالمايونيز، ثم أتحلى بتفاحة حمراءِ يانعة (سامعة مدام؟)، وأجلس إلى الحاسوب وأعمل على السيناريو.

أتفحص الإيميل. لا شيءٍ مثيرًا.

أقرر أن أكتب يوميات باريسية حتى عودتي ونشرها في المدونة. أستسخف الفكرة؛ من بحاجة إلى هذه الترهات؟ ولماذا يجب نشرها على الملأ. لو كنتُ فاتحًا غازيًا أو ظافرًا لقلنا "محمولة". بعد نصف ساعة من تقليب المحطات الأربع الفرنسية في التلفزيون المتحشرج، أعود إلى الحاسوب وقد قررت أن أكتب هذه اليوميات وأنشرها. يعني إبراهيم كناعنة أحسن مني؟

سأنهي الليلة "روائح ماري كلير" وقد أقرأ قليلاً من ديوان عناية جابر الذي اصطحبته معي أيضًا. إشتريت أيضًا من المطار كتاب "صورة دوريان غري" لأوسكار وايلد بترجمة جديدة (بالعبرية). سأقرأه أيضًا. ولكنني أشتاق إلى دشة شوقًا هائلاً. أقلب صورها في ذاكرة الحاسوب. أحبها. أنام على صوت مكاغاتها وصراخها العصبي وهي تهجم على أنفي لتعضه، كما تحبّ أن تفعل.

باريس: اليوم الثاني

أستيقظ باكرًا رغم إصراري على النوم جيدًا. منذ أشهر، أي منذ ولادة الدشة الضاحكة، أستيقظ باكرًا وأنام باكرًا. مثل الدجاج. «نام بكير وقوم بكير وشوف الصحة كيف بتصير»، يهمس مثلنا الشعبي الذي يحثّ على العمل مثل الحمار والنوم مثل الدجاجة، وإمشي الحيط الحيط، ولا تنسَ أن تموت بلا مغامرات. الحقيقة أنّ الصحة جيدة في مثل هذه الظروف، ولكن ماذا ينتفع الإنسان لو نام باكرًا واستيقظ باكرًا وخسر لعبة المحبوسة في الثانية عشرة ليلا بين البكري العربيد و»بو ندى» الصنديد؟

إيليا سليمان

عند الفطور أمسكتُ بالفندقيّ متلبسًا (هل ذكرتُ أنه عربيّ أيضًا؟). عندما وضع لي ملامح الفطور المتواضع أمامي، إنضمت إلى غرفة الطعام صبية جميلة من الشرق البعيد (يابانية أو صينية أو كورية، لا أعرف)، وعندما جلست هرع إليها بصحن فيه قطعتا كروسون وقطعتا باغيت!! أيها الحقير؛ لو كنتُ امرأة جميلة لحملتَ إليّ من الطعام ما يكفي قبيلة. المفارقة طبعًا أنّ هذه الشرق-بعيدة لا تأكل إلا نزرًا، وهي تحظى بكمية الطعام التي من المفروض أن تُقدّم لواحد مثلي. أزدرد مهانتي على مضض وأحمل كوب القهوة وأصعد إلى غرفتي.

اليوم عملت مع هيام على السيناريو. بانتظارنا أيام غير هينة من الحكي والحكي والحكي، ثم الكتابة والتغيير. هل عملتم مرة مع شريك على نص مسرحية أو فيلم أو أيّ شيءٍ؟ حسنًا، لا تفعلوا!

وهذا طبعًا لا يتعلق بنوعية ولطافة وإنتاجية الطرف الثاني (في حالة هيام). ما يهم هو اصطدام شحنات كهربائية من فئة ٢٢٠ فولط، صادرة عن شخصين (مبدعين) يعتقدان أنّ باريس تسحب طاقتها الكهربائية من ضوئهما. ولكن العمل مع هيام يظل لطيفًا وإبداعيًا حقًا، وهي تذكرني بأم الدشة أكثر من عشر مرات في اليوم، من ناحية القدرة الخارقة على تجنيد الحروف اللانهائية للكلمات اللانهائية التي تطلقها في فضاءِ الغرفة.

حين أروي لهيام أنني سأكتب عن قدراتها الكلامية الهائلة، تعترض وتلح إلحاحًا أن أكتب لقراءِ المدونة أنّ المشكلة فيّ أنا وليست فيها. كما تطلب مني أن أكتب لكم أنّ الكلام المُراق على أرضية مكتب شركة الإنتاج الباريسية متركز فقط في الفيلم الذي نعمل عليه، ليس إلا، وبالتالي فهو عمل وكدّ، ما من بعده جد. حسنًا، سأكتب، أقول لها، ولكن هل سيخفف هذا من وقع البرد الباريسيّ على أيدينا ووجهينا ونحن نسرق النيكوتين سرقة في مدخل العمارة، مثل لصين مذنبين؟ لا تدخين في الأماكن العامة وأماكن العمل. نخرج، هيام وأنا، إلى صقيع باريس الذي يُلحق أضرارًا غير رَجُوعة بالخصيتين وأطراف البنكرياس (غير رَجوعة: نهائية، غير قابلة للتغيير - والشكر لمضاءِ على الكلمة الدلوعة).

الطقس هنا غير مسبوق، يقولون لي. حتى إنّ نيكولا، المنتج، اضطر اليوم للسفر إلى جنوب فرنسا كي يحاول حل المشاكل الانتاجية التي طرأت على تصوير فيلم يجري في هذه الأيام هناك. فالطاقم التجأ إلى الجنوب الفرنسي لتصوير أيام مشمسة وحارة، ما يليق بالريفييرا الفرنسية، إلا أنّ الثلج انهمر هناك، لأول مرة من عشرات السنين، ودُقّ الخازوق دقًا. أبتسم وأنا أتخيل نيكولا المسكين يجرف الثلج عن أسطح المنازل والطرقات كيف يتمكنوا من تصوير الممثلة تتسفع تحت الشمس وهي تلبس البكيني بدرجة حرارة ٥ تحت الصفر. هذه مشاكل الأثرياءِ، أبتسم مرة ثانية، فليأتوا إلى هنا وليحاولوا أن يدخلوا إلى الإنترنت عن طريق الشبكة اللاسلكية في هذا الفندق الحزين. النكتة أنني اتصلت الليلة بالفندقيّ الذي يغشني في الفطور لصالح ابنة الشرق البعيد، وقلت له بحزن ويأس: الإنترنت لا يعمل في الغرفة. فأجابني بكل هدوءٍ وحسم: «لا أستطيع أن أفعل شيئًا. بونسوار». بونسوار في عينك!

عبر الإس إم إسات والإيميل (حين أنجح في فتحه) تصل التقارير من الأرض المحتلة: دشة مستمرة في تجميع المعجبين والمعجبات، وهي دائمة الضحك والمكاغاة، حتى إنّ «أبو شادي»، زوج النانا (يحرق أخت التبرْجُز!)، وقع في حبها لأنها تضحك له طيلة النهار، ناهيك عن غزلها المستمر وغير المنقطع لفريد ابن السنة ونصف السنة، الذي يشاطرها النانا. ها أنا ذا أجلس في باريس بعيدًا وابنتي بدأت تمتهن الغزل وهي في الشهر الثالث وأسبوع ويومين فقط. من الأجدر بي أن أضب شنطتي وأن أهرع إلى عكا سباحة كي أضع الحدّ على الزعرورة، ولكن بالأساس، كي أقبلها ألف قبلة وأشم رائحة بشرتها النضرة، ورائحة نتاقها العطرة، على ملابسي المُخضرّة.

باريس: اليوم الرابع:

نصحتني هيام بالتوجه إلى أحد متاجر شبكة «القارب الصغير» لملابس الأطفال للتبضع بحلل جديدة لدشة الآخذة في التوسع. بعد أن رطنتْ بالفرنسية مع سهى في الهاتف أسماءِ أماكن لا أذكر منها شيئًا، هطلنا إلى المقهى الأليف لتناول الغداءِ وإذ بدُرّة لا تزال هناك، ومعها نيكولا. دُرة هي منتجة تونسية أنتجت فيلم «حرير أحمر» الذي مثلت فيه هيام (رقصت بالأساس) وأخرجته رجاءِ عماري. وقد جلسنا إلى الاثنيْن في الحادية عشرة صباحًا من ذات اليوم، في ذات المقهى، نحتسي الشاي الأخضر (والعضرا!) ونتحدث عن السينما ومَن يخرج ماذا ومَن ينتج مَن.

وقد أسهبنا هيام وأنا في الحديث عن الفيلم الذي نكتبه (حسنًا، هي التي أسهبت) وعن مشاهد الحب والتعري والتمزمز التي تملأ الفيلم. وقد فكرتُ بصوت عال في القعدة بأنّ هذا سيكون ربما أول بورنو فلسطيني، فضحكّنا ملءِ أشداقنا، ثم خفتت ضحكتي حين تذكرت أنّ أبي وأمي سيشاهدان الفيلم، وحماي وحماتي، وأنسبائي وأقربائي، في الوطن والشتات. تمعنتُ في هيام طويلا وفهمت الفخ الذي تنصبه ليه: هي في باريس، مدينة الأنوار والتنوير (للفرنسيين فقط)، فماذا يهمها؟ وأنا؟ ماذا سأفعل بجحافل المؤمنين والمؤمنات الذين يخافون الجنس والحب والتمزمز؟ هل ستكبر دشة بلا أب وما ذنب ديناصورتي البريئة بكل هذا؟

إلتقيت دُرة في ورشة السينما MFD التي شاركت فيها في مدينة مراكش في المغرب قبل ثلاث سنوات (أو سنتين- لا أذكر)، بنفس السيناريو الذي نعمل عليه (عفت طيزي من هالفيلم!)، وقد سافرت وقتها إلى مراكش ثلاث مرات في نفس السنة، حيث كثرت الزبدة على العرب وفاضت (فسّرت لي هيام أنّ الفرنسيين يطلقون كلمة «زبدة» على العرب المهاجرين في فرنسا، حيث أن الكنية هي كلمة «عربي» بالفرنسية ولكنها معكوسة ترتيب الحروف). دُرة امرأة جميلة ومُحبة وصادقة وعفوية مع أنها منتجة هامة ومعروفة (هذا الدمج نادر جدًا في عالم السينما)، وهي ترأس اليوم صندوقًا لدعم السينما في فرنسا، وقد أنتجت مؤخرًا الفيلم الثاني لرجاء، والذي بدأت عروضه الافتتاحية.

طبعًا، هيام بدأت الحديث من طق طق للسلام عليكم، من الترميمات التي تقوم بها في البيت حيث توسع شقتها بعد شراء شقة الجيران (ذكرتني بالنكتة عن مقاول البناء الذي تزوج اثنتين ففتحهما على بعض)، وحتى طرائف وقصص لينا ومنى، ابنتيها الجميلتين. كان من المنعش أن ألتقي دُرة بعد هذه الغيبة، وإذ بي ألتقي نيكولا أيضًا على الغداء، وهو مخرج ومنتج قدم لنا ورشة في مراكش وقتها. حدثني عن الفيلم الوثائقي الذي أخرجه عن غزة بعد العدوان عليها، حيث دخل غزة بعد أسابيع قليلة من العدوان، بثلاثمئة وخمسة وستين ألفًا وسبع وأربعين واسطة ومداخلة ورسالة وبيانًا. اسم الفيلم «عايشين»، وقد بدأ عرضه في المهرجانات، ولا شك في أنه من الأعمال السينمائية النادرة التي أنتجت عن غزة بعد العدوان عليها.

يحادثني نيكولا بالعربية من مرة لأخرى، وأتفاجأ، ثم يشرح لي أنه متزوج من عربية فأتفاجأ أكثر. ثم يبطحني أرضًا حين يقول لي إنّ اسم شركة الانتاج التي يديرها «عكا»، وقد أسماها على اسم مدينة الجزار، التي يحبها كثيرًا. ثم يقول لي إنه أنتج وأخرج في مطلع التسعينات فيلم «الكفوف الذهبية» عن نادي الملاكمة المعروف في عكا، ثم يسألني بثقة عن أبرز الملاكمين العكيين من عائلة خاسكية، فأتظاهر بأنني أعرفه، وأستزيد. ثم تحول الحديث إلى منحًى حزين بعض الشيء حين حدثته عن معشوقته (عكا) وعن بيع بيوتها للمستثمرين والمستوطنين اليهود، وعن الجريمة والمخدرات والعنف والإهمال. ثم رويت له ما روته لي إم الدُشة عن إطلاق النار الذي حصل قرب بيتنا قبل يومين حين دهم بعض الشبان البيت ليقتلوا أحد الأبناء الشباب فيه، فهرب الشاب فما كان من المعتدين إلا أن أطلقوا النار على أبيه!

هذه هي حال عكا مؤخرًا، أتنهد وأنا أقول له، ثم يحك دماغه ويطلب المزيد من المعلومات عن فلسطينيي الداخل، فلا أبخل، فيزداد إحباطه، ثم يستعيد عافيته كسينمائي مدمن، وتبرق عيناه وهو يتساءل مع نفسه أكثر مما يُسائلني: ربما من الجدير صنع فيلم عن هذا الوضع.

ألتقي بسهى عند نهاية العالم، نحو اليمين قليلا، في حي البرجوازية الباريسية المتعفنة أجبانها. تقول إنها تسكن هنا لقرب المكان من مكان عملها وعمل بيار، زوجها العتيد (في ٢٦ تموز المقبل في الناصرة؛ عليكو عزومة). نتمشى في الشوارع العريضة الفسيحة النظيفة البيضاء وأتضايق من صفاء الجو والهواء، كمن اعتاد على تلويث باريس الجميل. تقول لي إنّ الحي يفيض على جانبيه باليهود الأغنياء، وهم أنفسهم من يدعمون الدولة الصهيونية، فتنتابني رغبة هائلة في القرفصة في وسط الشارع وإلقاء خرائي الفلسطيني الثائر في هذه البقعة الصهيونية من باريس، إلا أنّ توقف سهى فجأة وإدارتها لرأسها بحيرة وسط مفترق الشوارع، يعيدني إلى الواقع، وألفاها تقول ببعض المرح القلِق: «أنا مش منيحة بالجغرافيا». أسبّ تركيبة النساء الوراثية التي تجعلهن ضعيفات في الجغرافيا الحيزية، ثم تنقذ سهى نفسها بأن تقترح أن ندخل محل الملابس هذا للأطفال قبل أن نصل المحل العيني الذي أرسلتنا هيام إليه، كرّم الله وجهها.

نشتري طقمين «بهبلوا» لدشة العربيدة، وتنتخي سهى فتشتري حذاء زهريا هدية لدشة أيضًا، فأضطر لدعوتها على القهوة والتريسيمو ثم العشاء، كي أردّ لها الصاع صاعين! والحقيقة أنني أصريتُ على عزومتها كمكافأة على خدمات الإرشاد التي توفرها لي كلما أتيت باريس، ولم أفطن إلا وأنا في الميترو عائدًا إلى الفندق، إلى أنّ سهى وفرت لي في الواقع خدمات «ضياع» في باريس وليس إرشادًا (عزمتها على الفاضي). وقد اضطررت في نهاية الأمر إلى توجيه مسارنا إلى بيت الرفيق أيلي، وهو يلقنني على الهاتف المحمول إرشادات جغرافية عجزت سهى عن ترجمتها إلى خطوات فعلية على أرض باريس.

يقطن أيلي في شقة باريسية حسناء، باهرة الضياء، بحبوحة العيش، لا تعرف الهراء. وفورًا يصب لي مدعوقًا عربيدًا أحضره معه طازا من عند صديقه الكاتب المعروف جون بيرجر، وهو أشبه بخلطة من الحكول ونكهة برية عطرة، فتحت لي مجاري التنفس والكلام والبول بعد أول رشفة صغيرة. وما هي إلا لحظات حتى أبرم إيلي وسهى سلام الشجعان النصراويين، وبدأا الحديث عن حارة البرتيس والروم، والكاثوليكيين والموارنة والسنة، وأنا في الوسط أحاول أن أتتبع خيوط المؤامرة النصراوية التي سيطرت على هذه الشقة الباريسية الجميلة فحولتها إلى زاوية منزوية في مقهى «الرضا».

يعمل إيلي على فيلم جديد يهدس به، ويحدثني عن طريقة كتابته وإخراجه للأفلام وتطبيقه للأفكار التي تلاحقه (التفاصيل في كتاب «فضائح فلسطينية في باريس الأبية»). أحاول أن أسرق منه سر الصنعة، أو على الأقل بعضًا من ملامحه، ثم نُشرّق ونُغرّب ونمسك شل الحركة السينمائية من مشرقها إلى مشرقها (التفاصيل في الكتاب آنف الذكر). لا ينسى إيلي الإشارة إلى كرشي المتنامية، ثم لا يتمالك نفسه فيهدّ قليلا على أخي عامر، صديقه اللدود، فأهدّ قليلا على أطراف عائلة سليمان، وأشعر بالطمأنينة لأنّ الحديث في نهاية المطاف دار ودار واستقرّ في الحمائل والعائلات، حفاظًا على التقاليد. فأكلنا المزيد من الحلوى التونسية الشهية التي أحضرها معه من الدولة الخضراء.

تدخل ياسمين، عزيزة أيلي التي تشاطره الشقة، وفورًا تنزلق مع سهى في محادثة هامة ومثيرة حول اللهجات والكلمات النصراوية، والفرق بين الفلسطينيين واللبنانيين. وقد أسرّتْ إلينا ببعض الكلمات النصراوية التي يصرّ إيلي على حملها معه (نيويورك فباريس)، وأفظعها لا شكّ كلمة-جملة «مَطْكْطهنِّشْ» (لم أطِقهُم). نضحك ونشير إلى إيلي بأنّ النصراويين الأقحاح أنفسهم توقفوا عن قول مثل هذه الكلمات، ونناشده الحفاظ على مياه وجوهنا أمام هذه الجنوبية الموسيقية التي سرقت من سهى تعبير «مِنينا ولا مِنيكو؟» لأغنيتها القادمة (وكل واحد يقراها كيف بدو).

منذ يومي الأول أُغرمتُ بالبط. وبعد الخروج من عند إيلي وياسمين نجلس، سهى وأنا، في مقهًى مجاور لشقتهما، ونأكل. أطلب البط مع البطاطا وخلافه، وتأكل سهى سلطة فرنسية عليها شرائح خبز محمص مع جبنة زرقاء متعفنة من فوقها. نتحدث عن الأطفال وعن التغييرات في الحياة وعن الزواج والبيروقراطية الفرنسية وكسل موظفي البريد في فرنسا. كما نستلم شلّ هيام لأنها بعثت بنا إلى محل للملابس يحتاج إلى ميزانية ضخمة مثل ميزانية ممثلة سينمائية تشارك في خمسة أو ستة أفلام في السنة وتقبض باليورو. مثل هيام مثلا.

حين نفترق في محطة المترو، نتفق على محاولة الالتقاء مجددًا قبل عودتي، الأحد، ثم توشك أن تغادر سهى وهي تحمل كيس الورق الذي يضم هديتها لدُشة (الحذاء الزهريّ)، فألحقها وأمسك بتلابيبها مذعورًا.

في المقطورة أفكر فيما إذا كانت سهى نسيت أم تناست الكيس، كيف تبعث الحذاء إلى ابنة أختها. وعندها يمكنها أن تقول إنها اشترت هدية لابنتي ونسيتُ أنا أن آخذها، ثم تهديها لابنة أختها، وهكذا تضرب طفلتين بحذاء واحد. ولكنني تراجعت عن هذه المؤامرة، خصوصًا حين تذكرتُ أنّ سهى لا شكّ تائهة الآن في أنفاق المترو، لا تعرف الشمال من الجنوب، فأرسلتُ إلى باريس طاقة إيجابية حارة، إعتقد الجالس إلى جانبي أنها روائح هضم البط خرجت من أسفل معدتي المضطربة، فقام وبدّل مكانه.

ملاحظة رقم ١: جميع المكتوب عنهم والمصوَّرين في هذه المدونة تلقوا الإنذارات والتحذيرات الشفوية والخطية بشأن التدوينات اليومية وطابعها الساخر المتعفن، مما اقتضى التنويه.

ملاحظة رقم ٢: للحيارى من القراء والقارئات الذين يتساءلون عن اليوم الثالث وماذا حلّ به أقول: عملت مع هيام حتى المساء ونمت في الساعة الثامنة كالقتيل واستيقظت في الثامنة صباحًا من اليوم الرابع. ستتفقون معي أنه يوم غير جدير بالتكتكة على لوحة المفاتيح، إلا إذا كانت شهيتكم مفتوحة لتعرفوا في أيّ مشهد «ينط البطل على البطلة»- على حدّ تعبير الديرحناوية الجميلة.

هيام عباس

باريس: اليوم الأخير

أقرأ في «الأخبار» عن أمسية زياد الرحباني في القاهرة، فتضيق باريس فجأة. يصير المكان عقبة وليس نعمة، وتتبدل المشاعر، فأحنّ إلى القاهرة مجددًا.

ماذا بين القاهرة وباريس؟

لا شيء تقريبًا سوى الطلائعيين المصريين الذين أتوا باريس كي يدعّموا أسس القاهرة الماضية إلى حداثة القرن العشرين. القاهرة التي ظلت مركزًا حضريًا ثقافيًا كونيًا حتى ثورة يوليو وتحويلها إلى عاصمة «عربية قومية» لا تحتمل الأجانب كثيرًا.

في باريس لا يحتملون الأجانب كثيرًا أيضًا. القومية الفرنسية (والكثيرون سيقولون القومجية) لا تحتمل المختلف الآن، لأنّ المختلف مسلم، رغم أنّ الصينيين يتوسعون الآن في فرنسا في جميع أنواع البيزنس وربما يغيرون طابع «القومية الفرنسية» بعد عشرين عامًا. ولكن لا أحد يتهجم على النودلز.

اليوم ليلا ستغادر الطائرة عائدة إلى مطار بن غوريون الدولي. كان الأسبوع الأخير خاليًا من العبرية وإسرائيل و(قرف) السلطة الفلسطينية. كان أسبوعًا هادئًا يبعث على الخدر قليلا. يمكنك بسهولة أن تستسلم لهدوء باريس الصاخب قليلا وأن تنسى ما يشدّك كلّ صباح إلى عناوين الصحف ونشرات الأخبار. يمكنك أن تعيش خارج الحدث، رغم أنك في أهم مراكز الحدث في العالم.

سأذهب الآن إلى متحف بيكاسو. ولولا تذكير وتنبيه العزيز نبيل أرملي لما فطنت لذلك في خضمّ انشغالاتي. ولكنني أحب بيكاسو كثيرًا. أذكر توقي إلى رسمه وتمثيله (من تمثال) أثناء دراستي للفنون الجميلة قبل ٩٨٧٨٢٧٣ سنة (نعم! أنا فنان متقاعد). سأذهب الآن وأبحث عن تلك الرسمة من فترته الزرقاء. ما اسمها؟ تلك التي تجمع رجلا وامرأة يقفان إلى جانب بعضهما البعض ويحني أحدهما رأسه على كتف الآخر. وتمثال رأس الثور طبعًا المصنوع من معدن دراجة هوائية. هل سأجدهما في هذا المتحف؟

البعض تبرم عن طريق المزاح متسائلا في الرد على رسالتي شبه اليومية بكتاباتي (شبه) اليومية من باريس: «مطولي رحلتك لباريس؟» وبما أنّ المزاح لا يحمل إلا الجدّ، فإنني لا أعرف حقا إذا كانت هذه الكتابة والتذكير بها في الرسائل الإلكترونية مصدر سرور أم انزعاج لكم. وكما تساءلت إحدى القارئات: أقرأ مذكراتك من باريس ولا أعرف لماذا أقرأها- فهي لك وليست لي.

وأنا لا أعرف أيضًا، صراحة (سمايلي).

سيكون يومي طويلا بين التسكع في المتحف ثم المقاهي ثم بعض المشتريات الأخيرة لدشدوشة، ثم السفر إلى المطار ثم الطائرة ثم بن غوريون ثم عكا. ما يهمّ أننا وصلنا، الرفيقة هيام وأنا، إلى صيغة جديد للفيلم، نحبها، رغم قمعها المتواصل لي ولأفكاري الجذابة. شخصية هيام قوية وربما طاغية في بعض الأوقات، إلا أنّ حبها للسينما ولما تفعل يجعلك تحبها وتحب العمل معها، لدرجة الامتنان للآلهة أنها شريكتك في هذا الفيلم.

شكرا هيام...

شكرًا باريس.

غدًا سأعود إلى الوطن. وستعود دشدوشة لتنتق عليّ كما تحب أن تفعل وهي تعض أنفي بشراهة.

RHYTHMS FROM THE
إيقاعات عالمية WORLD
مهرجان القدس
JERUSALEM FESTIVAL
2010
TOMBS OF THE KINGS . قبور الملاطين-القدس
JULY 20-29 . 2010 تموز